عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 70 / 1 نيسان 2016

حيّ جوبر الدمشقيّ- عدسة رامي الشامي

3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

باغية... وتنحسر

ربما كان التطوّر الميدانيّ الأبرز في الأيام الماضية هو وقوع مدينة تدمر تحت سيطرة قوّات الأسد مرّةً أخرى، وخروجها من يد داعش. لن ننشغل كثيراً بالمفاضلة بين الاحتلالين، فما يعنينا من المعارك المتكاثرة مؤخراً بين النظام والتنظيم هو الاغتباط لإثخان كلٍّ منهما في قوّات الآخر وعتاده، والأسف العميق لارتقاء الضحايا من المدنيين الأبرياء وتوسّع رقعة خراب المدن والوطن.

لكن الملاحظ مؤخراً أن هذا الكيان المجنون، الزاعم أنه «دولةٌ» إسلامية، أخذ يدفع ثمن غروره الأخرق وجبهاته الرعناء التي ما انفكّ يراكمها مهاجماً هذا الطرف ومستفزّاً ذاك، تحت زعم أنه على الحقّ ما دام الجميع قد اتفق على قتاله وتداعت عليه الأمم! حتى أنه أظهر السعادة لتشكيل التحالف الدوليّ الجوّي ضدّه، ودعا الدول المشاركة فيه إلى إرسال قوّاتها البرّية و«المنازلة» على الأرض، زاعماً أن استجرارها إلى ذلك هو هدفه من الأساس، كما سمعنا مراراً في كلمات القوم وناطقهم المعتمد العدنانيّ.

ولكن ماذا جرى لتتقلّص الدولة الباقية العتيدة، دون حتى أن تواجه «الصليبيين» أنفسهم، بل فقط «أذنابهم» من النصيرية والروافض والملاحدة والمرتدّين وصحوات العار... إلى آخر القاموس السفيه؟ وكيف أنها على الحقّ وصارت تخسر مواقعها أمام مختلف هؤلاء الخصوم بكلّ مشاربهم وانتماءاتهم المتعدّدة، في كلٍّ من العراق وسورية، وعلى مختلف الجبهات؟!

في الدنيا «عقلٌ» إذاً... وفيها حساباتٌ للقوّة والضعف... وأرقامٌ للعدد والعُدّة... وليست مجرّد إصدارات مخادعة نتفنّن فيها بالاستقواء الساديّ على بعض الأسرى البرتقاليين، ذبحاً وتقطيعاً وإغراقاً... وشيّاً!

الأمل الآن أن تصل هذه الفكرة إلى عددٍ من المراهقين من أبنائنا، ممن أغشت بصيرتهم دعاية القوّة فوقعوا في أسرها، مبايعةً للتنظيم أو دعايةً له أو انجذاباً أزاغهم عن مبادئ الثورة التي كان بعضهم من أوائل من ناصرها قبل هذا الانجراف والانحراف.

أما عتاولة مجرمي داعش فلا أمل يرجى منهم في ما يبدو، ولا بدّ أن ينالوا جزاءهم العادل، وها هم ينالونه واحداً تلو الآخر كما تقول الأخبار. وإلى أن يكتمل ذلك وتُخمد هذه الفتنة فليس أمامهم سوى أن يتسلّوا، كما هي عادتهم، بقصف مارع... يخسر التنظيم أمام الحشد الشيعيّ، فيقصف مارع... تسحل قوّات النظام المجرمة عناصره في بعض أحياء دير الزور، فيقصف مارع... تضيّق ميليشيا «قوّات سوريا الديمقراطية» الخناق عليه هنا وهناك، فيقصف مارع... وينتصر الثوّار عليه في ريف حلب الشماليّ، فيقصف مارع...

ومارع/الثورة صامدة حتى نهاية هذا الكابوس... وسقوط بشار الأسد.

3 عند أول فرصة، المظاهرات تعود الى أخطر مدينة في العالم
5 فصل طائفي وحملات تهجير ممنهجة في حمص
6 جيرود بين الأسد وداعش
9 معارك داعش: من الحرب المركّزة إلى الاضطراب
10-11 شهادة على سيرة داعش في درعا
12 لقاء مع قائد مجلس شورى عشيرة الشعيطات
15 إعلان الفيدرالية كجوكرٍ على طاولة جنيف
19 مختار مصياف

عند أوّل فرصة:

المظاهرات تعود إلى أخطر مدينةٍ في العالم

عمرو غزال

شهدت مدينة حلبٍ، منذ بداية شهر آذار الجاري، عودة الحراك السلميّ إلى شوارعها بشكل ملحوظ، وذلك بالتزامن مع عدّة فعالياتٍ أقيمت احتفالاً بالذكرى الخامسة لانطلاق الثورة السورية، استمرّت خمسة أيام متّواصلةٍ في العديد من الأحياء الخارجة عن سيطرة نظام الأسد. وتميّزت هذه الفعاليات، التي شارك فيها عددٌ كبيرٌ من سكّان المدينةٍ وناشطيها، بالتنظيم الكبير الذي تمّ بإشراف «ثوار حلب».

الهدنة أسهمت في عودة الحراك السلميّ

قال المتحدث الرسميّ باسم «ثوار حلب»، الدكتور حمزة الخطيب، في تصريح لـ«عين المدينة»: «بعد توقف القصف الروسّيً شعر ناشطو المدينة وسكانها بضرورة عودة الحراك السلميّ والمظاهرات من جديدٍ إلى الشارع، للتأكيد على مطالب الثورة السورية وتجديد شعاراتها».

وأضاف: «خلال الهدنة عادت المظاهرات بشكلٍ كبيرٍ إلى شوارع وأحياء مدينة حلب وأريافها، وقد شاهد العالم الصور والتسجيلات عبر وسائل الإعلام المحلية والعالمية. وأثبت سكان حلب أنهم، ورغم مرور خمس سنواتٍ من القتل والدمار الذي مارسه نظام الأسد وميليشياته الأجنبية وحلفاؤه ضدّهم، ما زالوا مصرّين على إسقاط النظام ومحاسبة الأسد على كافة الجرائم التي ارتكبها في حقهم وحق أبنائهم».

من مظاهرات حلب - خاص عين المدينة

رفض الدعم الخارجيّ

وأشار المتحدث باسم «ثوار حلب» إلى أن جميع أعضاء التشكيل اتفقوا على رفض أيّ دعم ماليٍّ من المنظمات الأجنبية والمحلية، وشدّدوا على ضرورة أن تكون احتفالية إحياء ذكرى الثورة ممولةً من أبناء الثورة بأشخاصهم.

وأضاف: «بعد خمس سنواتٍ من انطلاق ثورة الحرية والكرامة من غير المعقول أن ننتظر منظمةً أميركيةً أو أوروبيةً لتقدم لنا الدعم لنغطي به تكاليف خياطة علم ثورتنا وبلدنا، ودفع تكاليف الاحتفالات التي سنقيمها. لذلك قررنا أن نرفض كافة أشكال الدعم من المنظمات، وشكلنا لجنةً ماليةً لجمع التبرّعات الشخصية من الناشطين داخل سوريا وخارجها. والمفاجئ أننا تمكنا من جمع مبلغ استطعنا به تغطية كافة تكاليف الاحتفاليةً من تبرّعات ثوار حلب في الداخل فقط».

عروضٌ فنيةٌ ونشاطاتٌ رياضية

وعن الفعاليات التي شهدتها المدينة قال رئيس مكتب الحراك الثوريّ في تشكيل «ثوار حلب»، الناشط عبد الحميد البكري، خلال تصريح لـ«عين المدينة»: «على مدار خمسة أيامٍ متواصلةٍ قمنا بتنظيم عدّة فعالياتٍ احتفالية، بدأت في الرابع عشر من الشهر الجاري وانتهت في الثامن عشر منه، تخللتها عدّة نشاطاتٍ رياضيةٍ ومظاهراتٌ في العديد من أحياء المدينة. كما قام فريق الدفاع المدنيّ بتقديم عرضٍ قاموا خلاله بمناورةٍ استعراضية».

وأضاف البكري: «تمّ أيضاً تنظيم معرضٍ لمجسّماتٍ فنية لمعالم سوريةٍ مرتبطةٍ بالثورة، كساعة حمص الشهيرة، بالإضافة إلى السهرات الثورية التي أُقيمت في المراكز الثقافية وحفلة إنشادٍ ورقصٍ مولويةٍ لإحياء التراث الشعبيّ للمدينة».

لمحة عن «ثوار حلب»

تأسّس تشكيل «ثوار حلب» بتاريخ 12/2/2016 من قبل معظم ناشطي المدينة العاملين في مختلف المجالات الثورية، بعد أيام قليلةٍ من إعلان عددٍ من التشكيلاتً الثوريةً في حلب حلّ نفسها استعداداً للاندماج ضمن تشكيلٍ موحد.

وقال البكري إن الهدف من التشكيل هو وحدة الصف ووحدة القرار الثوريّ، وحثّ جميع الهيئات والتشكيلات الثورية العاملة في حلب وريفها على التوحد في بوتقةٍ واحدة. مشيراً إلى أن المرحلة التي تمرّ بها حلب مرحلةٌ حرجةٌ تفرض على الجميع اتباع خطواتٍ مماثلةٍ تصبّ في مصلحة الثورة أولاً وحلب ثانياً.

مركز ورقة الثقافيّ

فريق «ماس» التطوعيّ في حلب ينظّم نشاطاتٍ اجتماعيةً وتراثيةً وشبابيةً مبتكرة

أحمد أبو زيد

خلف معركة السلاح التي تدور في سوريا ثمة معركةٌ أخرى لا تقلّ شأناً عنها، وهي معركةٌ ضدّ الفكر الذي تحمله بعض القوى ذات التوجهات الطائفية أو الإرهابية على الأرض، والتي تسعى جاهدةً إلى زرع أفكارها في الشباب، مستغلةً الدين تارةً والعاطفة تارةً أخرى.

من إحدى احتفاليات المركز - خاص عين المدينة

مجموعةٌ من الناشطين الحلبيين وجدوا أن تلك المعركة تعنيهم، وقرروا خوضها بتأسيس مركز ثقافيٍّ في أحد أحياء حلب القديمة، وتنظيم النشاطات والفعاليات الثقافية والمجتمعية بهدف العمل على مواجهة الحرب الفكرية التي يشنها نظام الأسد وميليشياته الطائفية، بالإضافة إلى تنظيم «الدولة الإسلامية».

إحياء تراث المدينة

بعد أكثر من ستة شهور من العمل المتواصل الذي قام به فريق «ماس» التطوعيّ، أُعلن بتاريخ 14/12/2015 عن افتتاح «مركز ورقة» الثقافيّ في حفل إنشاديٍّ أحياه المنشد الحلبيّ الشهير «أحمد حبّوش»، بحضور عددٍ كبير من الناشطين والسكان. وتخللت الحفل وصلةٌ لفرقة المولوية التي تُعدّ من التراث الحلبيّ الذي تشتهر به المدينة.

وقال الناشط عبد الرحمن إسماعيل، أحد أعضاء فريق «ماس» التطوعيّ، في تصريح لـ«عين المدينة»: «عملنا طوال ستة أشهر على تجهيز مقرّ المركز وإعادة تأهيله، وهو خانٌ قديمٌ في أحد أحياء حلب القديمة. وعند الانتهاء قمنا بدعوة الفعاليات المدنية في حلب لحفل الافتتاح، الذي قرّرنا أن يكون بحفل إنشاديٍّ ورقصاتٍ لفرقة المولوية للتأكيد على إحياء ثقافة وتراث حلب الأصيلة».

يومٌ بلا إنترنت

يطمح القائمون على المركز أن يؤمّنوا لروّاده جوّاً مفتوحاً ومريحاً يتيح لهم تبادل الأفكار مع كافة شرائح المجتمع من خلال التواصل المباشر، فينظّم نشاطاً أسبوعياً بعنوان «يومٌ بلا إنترنت»، يجتمع فيه عددٌ من الناشطين العاملين في المدينة، يقضون مدّة 12 ساعةً متواصلةً سوياً في التواصل والحديث المباشر وجهاً لوجه.

ويرى الناشط الإعلاميّ عبد الرزاق زقزوق، أحد روّاد «مركز ورقة»، أن نشاط «يوم بلا إنترنت» من أفضل النشاطات التي ينظّمها المركز. ويقول في تصريح لـ«عين المدينة»: «منذ أن بدأت الثورة انحصر تواصلنا مع بعضنا بالتواصل الافتراضيّ عبر شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعيّ. وعلى الرغم من إيجابيات تلك الوسائل لكن سلبياتها أصبحت أكثر من إيجابياتها؛ فالتواصل الافتراضيّ لا يتيح فرصة التعرّف إلى أفكار الآخرين بشكلٍ جيدٍ والاستفادة منها، لأن تواصلنا عبرها يقتصر على أشخاص يشبهوننا في الفكر، وغالباً مع أشخاص معيّنين فقط. لكن الأمر تغيّر عندما بدأنا نشارك في فعاليات هذا النشاط، خاصّةً عندما يشارك فيه عددٌ كبيرٌ من الناشطين بمختلف توجهاتهم الفكرية ومستوياتهم الثقافية».

وأضاف زقزوق: «تمكنا خلال نشاط «يوم بلا إنترنت» من التوصّل إلى أفكارٍ جديدة ومناقشة مشاريعَ ثوريةٍ تطوّعيةٍ نجحنا في تنفيذها بشكلٍ لافت، خاصّةً احتفالية إحياء الذكرى الخامسة للثورة. فقد شارك الجميع في الأفكار والاقتراحات التي خططنا لها وطبقناها خلال الاحتفالية. وخلال طرح الأفكار ناقشنا كافة الصعوبات والتحديات التي قد تواجهنا خلال التطبيق العمليّ، الأمر الذي أسهم في نجاح ما خططنا له. والأهم من ذلك مشاركة حرائر المدينة اللواتي كانت بصماتهنّ واضحةً في التخطيط والتنفيذ».

مكتبةٌ وصالات تدريب

غياب الجامعات والمعاهد في المناطق الخارجة عن سيطرة نظام الأسد، وانقطاع الشباب عنها، شكّل هاجساً لدى فريق «ماس» التطوعيّ، الذي يقوم على «مركز ورقة»، لتأمين البديل، فأحدث ضمن المركز مكتبةً ضخمةً تضمّ عدداً كبيراً من الكتب بمختلف أنواعها، أتاحت لروّادها فرصة القراءة والاستعارة الخارجية.

وأشار عبد الرحمن إسماعيل إلى أن المركز يضمّ أيضاً صالتين مجهّزتين بوسائل التدريب المتطوّرة، بهدف تقديم الخدمات بشكلٍ شبه مجانيٍّ للمنظمات التي تريد أن تقيم دوراتٍ لكوادرها. لافتاً إلى أن المركز ينظّم، بشكلٍ دوريٍّ، دوراتٍ مجانيةً في اللغات الأجنبية وفي مجالاتٍ تعليميةٍ أخرى.

ويتحدث إسماعيل عن فريق «ماس» قائلاً: «يضمّ الفريق عدداً من الناشطين الثوريين العاملين في مدينة حلب. تمّ تأسيسه قبل حوالي عام ونصف. له نشاطاتٌ عديدةٌ في تنظيم فعاليات الدعم النفسيّ للأطفال ولطلاب المدارس. ويعمل حالياً بشكلٍ تطوّعيٍّ بالكامل دون تلقي أيّ دعم».

رابطة العلماء السوريين تقيم حفل تخرج وتوزيع جوائز للأطفال الفائزين في مسابقة لتحفيظ القرآن في حلب القديمة - خاص عين المدينة

الأحياء «الآمنة» في حمص

جدار فصلٍ طائفيٍّ وحملات تهجيرٍ ممنهجة

حسيب عبد الرزاق

يكاد لا يمرّ يومٌ في أحياء حمص «الآمنة»، التي يقطنها من بقي من السكان الأصليين للمدينة وعائلاتٌ نازحة، إلا وتشهد خروج عائلةٍ هرباً من ممارسات ميليشيات الأسد الطائفية التي تصول وتجول في الشوارع وتقوم بعمليات دهم وسطوٍ وخطفٍ واعتقالات، متمتعةً بصلاحياتٍ كاملة. حتى أصبح الأهالي يعيشون في جحيمٍ لا يطاق، في ظلّ أوضاعٍ معيشيةٍ متدهورةٍ وتضاعف أسعار المواد الغذائية وتفشي البطالة.

توزّع الفروع الأمنية

يحكم النظام قبضته على أهالي الأحياء الغربية من المدينة. تؤكد ذلك الناشطة نور الحمصي، عضو رابطة إعلاميّي الثورة في حمص، إذ تقول: «ما زالت القبضة الأمنية محكمةً في هذه الأحياء، وتضيق أكثر بازدياد عدد الدوريات الأمنية التي تتجوّل وتوقف بعض المارّة وتقوم بمضايقاتٍ واستفزازاتٍ تجاه شباب الحيّ، وتجنيد بعض ضعاف النفوس من المراهقين. وقد تمّ سحب العساكر من فئة الشباب، الذين كانوا موجودين على الحواجز، إلى جبهات إدلب ودرعا وحلب وتدمر، وحلّ محلّهم موظفون متقدّمون في السنّ».

وتشرح نور، وهي ما زالت تقطن في أحد تلك الأحياء، آلية توزيع النظام لمهامّ التشبيح والإجرام كما يلي: «كل حيٍّ مسؤولٌ عنه أقرب فرع أمنيّ؛ فحيّ الإنشاءات من اختصاص الأمن السياسيّ، فيما يتولى فرع الأمن العسكريّ إحكام قبضته وحملات التضييق على أحياء كرم الشامي والميدان وحمص القديمة، أمّا فرع أمن الدولة فيسيطر على أحياء الحمراء والدبلان والغوطة وجورة الشياح». والملفت هنا أن ميليشيات النظام أغلقت المنافذ الرئيسية لبعض الأحياء بجدارٍ إسمنتيٍّ يمثل جدار فصلٍ طائفيٍّ، يتراوح ارتفاعه بين مترٍ و3 أمتار.

دهمٌ واعتقال

تواصل دوريات الأمن، مدعومةً بمجموعاتٍ من الشبّيحة، عمليات الدهم والاعتقال. تقول نور: «قبل سنةٍ كان الجيش يسيطر على كثيرٍ من البيوت ذات المواقع الإستراتيجية بالنسبة إلى الحيّ ويمنع أصحابها من الدخول إليها، وفي الآونة الأخيرة تمكنت بعض العائلات من استرجاع بيوتها. انخفضت وتيرة المداهمات بعد خروج الثوّار ومعظم الناشطين وتصفية واعتقال الكثير منهم، ولكن تبقى الجولات الأمنية والمداهمات إثر تبليغ مغرضٍ من الجواسيس في الحيّ. أما السطو المسلحٍ فيحدث في كلّ مكانٍ من قبل موالي النظام، من عسكرين ومدنيين ومتطوّعين. وقد تركزت هذه العمليات مؤخراً على الأحياء القديمة بسبب غياب أصحابها».

يزداد الاحتقان الطائفي في الأحياء العلوية الموالية للأسد مع كلّ تفجيرٍ يحدث فيها، لتصبّ جام غضبها على الأهالي في الأحياء الآمنة. توضح نور: «يحدث احتقانٌ وحقدٌ ولكنهم لا يجرؤون على دخول أحيائنا.. انظروا إلى صفحاتهم عند كلّ تفجيرٍ في أحيائهم، يصبّون جام غضبهم بشكلٍ طائفيٍّ على من يسمّونهم «أهل السنّة»، ويتساءلون: «لماذا الأحياء المحتلة لا تحدث فيها عمليات تفجير؟». كما يصبّون جام غضبهم على حيّ الوعر، بالقصف وتشديد الحصار».

ترانسفير خفيّ

يتحدث كثيرٌ من الناشطين والأهالي النازحين أو اللاجئين ممن كانوا داخل أحياء حمص الآمنة عن عملياتٍ ممنهجةٍ يقوم بها النظام لتغيير ديموغرافيا المدينة وتهجير من بقي فيها. كما يؤكّد الجنديّ المنشقّ (بلال)، وهو من حيّ باب السباع، إذ يقول: «قبل أن تنزح أسرتي من هناك شاهدوا غرباء يتحدثون باللغة الأفغانية والفارسية قد احتلوا بعض المنازل المهجورة». وتؤكد نور عمليات التهجير، موضحةً أن «النظام ينفذ منهج تطفيش الأهالي بتحديد أعمار المطلوبين للاحتياط من سنّ 18 وحتى 41 سنة، وكذلك عبر نشر الحواجز الطيّارة الموّهة في أماكنٍ غير متوقعة، تقوم بتوقيف المارّة عشوائياً وسوقهم إلى الجيش دون إخطار ذويهم أو إعلامهم بمكان وجود أولادهم».

وتؤكّد أن عمليات الخطف مستمرّة، ويعقبها طلب فديةٍ كبيرةٍ قد تصل إلى عشرات الملايين، «لذلك فإن شباب المدينة أمام أحد خيارين: إما المكوث في منازلهم والتواري عن الأنظار، أو التجوّل داخل الحيّ بحذرٍ بعيداً عن الحواجز العادية والطيّارة».

كما يعاني أهالي الأحياء الغربية في حمص من تفشي البطالة، فقد أصبح 50% من الشباب عاطلين عن العمل، مع ارتفاعٍ مرعبٍ في أسعار المواد الغذائية وصل إلى 10 أضعافٍ مقارنةً بما كانت عليه قبل اندلاع الثورة. ولا يمكن للعائلة العيش دون مساعدة أحد أفرادها أو أقربائها أو أهل الخير ممن هم خارج البلاد، في حين تكاد السلل الغذائية التي تقدّمها الجمعيات الخيرية أن تنضب.

حمص – عدسة سليمان أبو ياسين – خاص عين المدينة

جيرود بين الأسد و«داعش»

مصطفى القلموني

رغم الهدنة مع قوّات الأسد، منذ عام تقريباً، لم تتحسّن الحالة المعيشية لسكان جيرود بريف دمشق. ولا زال الحصار على المدينة محكماً لا تخرقه سوى عمليات التهرّيب والرشاوى التي يدفعها بعض التجار لضباط الأسد على الحواجز.

لكن آمال السكان برفع الحصار، أو تخفيفه على الأقلّ، انتعشت، منذ شهر تقريباً، مع الاتفاق المبرم مع النظام حول «خطّ الغاز». والذي يقضي بأن تسمح قوّات الأسد بمرور السلع والبضائع والمواد الغذائية، وأن تشغّل المرافق الصحية والخدمية وتزوّدها بالمواد والتجهيزات اللازمة، وأن يطلَق سراح المعتقلات والمعتقلين؛ مقابل أن تسمح فصائل المدينة لورشة الصيانة بالدخول لإصلاح الأجزاء المتضرّرة من الأنبوب الناقل للغاز إلى محطات توليد الطاقة الكهربائية الواقعة تحت سيطرة النظام. يقول أحمد، وهو مقاتلٌ في إحدى كتائب الجيش الحرّ المحلية، إنهم سمحوا لورشة الصيانة بالدخول، وإنها أصلحت الأنبوب، لكن نظام الأسد لم ينفذ أياً من الشروط التي تعهد بها، لأنه «كذاب ونحن نعرفه يكذب. لكن إذا ما طالع المسجونات وشغّل المشفى بدنا نرجع نفجّر الخط مرّة ثانية». إصلاح الأنبوب وتعهدات النظام ولجنة المفاوضات هي مفردات الحديث الشاغل للناس اليوم في جيرود. يقول أحمد إنه لا يسمع سوى هذا الحديث من الناس: «تحوّلو المعتقلات على عدرا. جابوهن عالقطيفة. النائب العام جاي، والنائب العام رايح»، أو «رح يفوّتو مازوت وسلل غذائية ويشغّلو المشفى».

تبدو علامات التعب على الوجوه. ويفارق المزاج الرائق الذي تمتع به أهل جيرود كثيراً من الناس هنا. وتندلع كلّ يوم، في الشوارع والأسواق، ملاسناتٌ خشنةٌ قد تتطوّر إلى عراكٍ بالأيدي لأتفه الأسباب بين أشخاصٍ كانوا مضرب المثل في الهدوء و«البال الطويل». يفسّر الجميع هذه العصبية بالأهوال والآلام التي قاساها الناس خلال سنوات الحرب والجوع والحصار، وبقلة سبل العيش المتاحة، إضافةً إلى الملل والمكوث الطويل في هذا «السجن الكبير»، وخاصّةً للمطلوبين لأجهزة الأمن، وهم نسبةٌ كبيرةٌ من الشبان والرجال.

ومن مناطق سيطرته القريبة في بعض مناطق القلمون الشرقيّ يبثّ تنظيم «داعش» مشاعر القلق والتوتر لدى السكان. إذ يثير، بين حين وآخر، عبر خلاياه النائمة، المتاعب لعموم الناس ولفصائل المدينة. فقد قتلت هذه الخلايا عدداً من الأشخاص بعد خطفهم، وحاولت اغتيال بعض القادة العسكريين. لكن «الحزم» الذي عاملت به الكتيبة الأمنية والهيئة الشرعية المشتبه بهم أفشل مخططات التنظيم. وخلال أشهرٍ من العام الفائت شغلت جيرود بقصّة فائقٍ بنيان (أبو عمر)، الشيخ السلفيّ المبايع لتنظيم «داعش»، وفق ما أثبتت التحقيقات معه بعد إلقاء القبض عليه في عمليةٍ دامية أودت بحياة شخصين من القوّة التي داهمت منزله. اعترف بنيان –حسب ما قالت الهيئة الشرعية التي تولت التحقيق- بتأسيس مجموعةٍ تتبع لتنظيم «داعش»، وبقتله عددٍ من الأشخاص وإلقائهم في بئرٍ خارج المدينة. واعترف أيضاً بإصداره فتاوى يكفّر فيها قادةً في الجيش الحرّ وحركة أحرار الشام وجيش الإسلام وجبهة النصرة، وهي الفصائل التي تسيطر على المدينة. ومن جملة من كفّرهم الشيخ بنيان ابن أخيه، محبّ الدين الشاميّ، الشرعيّ والقائد البارز في أحرار الشام. وتكشف حكاية الشيخ بنيان الطويلة، منذ بدايتها مع الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين أول ثمانينات القرن الماضي، ثم اعتقاله في سجون حافظ الأسد، ثم انتمائه إلى تنظيم فتح الإسلام، وتجدّد الاعتقال وتكراره في سجون بشار قبل الثورة، ثم مع تنظيم «داعش» بعد اندلاعها؛ عن أزمةٍ خاصّةٍ عاشتها جيرود تأتي في سياق أزمةٍ أوسع شهدتها مدن وبلدات القلمون الشرقيّ التي عانت لعقودٍ طويلةٍ من الفقر والتهميش والاضطهاد، مع حضورٍ طاغٍ ومباشرٍ لاستبداد الأسد ممثلاً بمواقع التشكيلات والقطع العسكرية والأمنية الكثيرة في هذا الإقليم الصحراويّ الفقير.

وجد الشيخ بنيان في الثورة فرصةً لتجديد أحلامه الجهادية الخاصّة، ولتلبية طموحه في قيادة الجهاد في جيرود، إن لم يكن في القلمون كله حسبما ينقل بعض معارفه. لكن ظهور قادةٍ شبانٍ، كان بعضهم من طلابه في حلقات تدريسه السرّية قبل الثورة، وترؤسهم فروع الفصائل المقاتلة الوليدة، هدّد أحلام الشيخ ودفعه إلى تنظيم «داعش». وبتأثيرٍ منه اندفع آخرون إلى هذا التنظيم. ويضيف أحمد نوعاً آخر –سوى الملتزمين دينياً- استقطبهم التنظيم إلى صفوفه، هم، حسب ما يقول: «السرسرية والحرامية والحشاشين». إذ يهرب بعض هؤلاء، كلما اشتدت الضغوط عليهم، إلى منطقة «ظهار الضبع» القريبة التي تسيطر عليها «داعش»، ومن هناك لا يكفّ المبايعون الجدد عن إطلاق التهديدات والتوعّد بـ«فتح جيرود».

أجهزة الإنترنت الفضائيّ

بدائل أسهمت في نقل الواقع السوريّ وتسليط الضوء عليه

مريم أحمد

«الحاجة أمّ الاختراع» مقولةٌ لم تأتِ عن عبث، فقد أثبت السوريّ جدارته بالعمل بها، بالابتكار أو باستبدال العديد من الوسائل التي تمكّنه من الاستمرار وتحقيق مطالبه بعد أن حرمه النظام منها، والتي كان أولها وأهمها الإنترنت.

اعتمد المواطن السوريّ في السابق على الإنترنت التابع لمؤسّسات النظام، عن طريق مزوّدي خدمة الهاتف الجوّال والمؤسّسة العامة للاتصالات. استخدم الناشطون خدمات النت الرديئة هذه في بداية الثورة لتوثيق المظاهرات وقمع النظام لها وانتهاكاته المختلفة. وكانت سرعة الإنترنت في ذلك الوقت تقدّر بـ20 كيلوبايت في الثانية، مما خلق مشكلةً كبيرة، فقد كان تحميل صورةٍ حجمها 12 ميغابايت يستغرق 10 دقائق؛ ما أثر بشكلٍ كبير على جودة وكمية الصور ومقاطع الفيديو التي ترسل إلى وسائل الإعلام، وخاصّةً فيديوهات المظاهرات بسبب ضغطها عدّة مرّاتٍ كي يتمّ تحميلها. ثم قام النظام بقطع الإنترنت عن المناطق الثائرة على أمل أن يمنع خروج المعلومات والفيديوهات التي توثق الأحداث إلى العالم.

إدلب - خاص عين المدينة

الصحفي أحمد الأحمد، الذي أسهم في توثيق الأحداث منذ ذلك الوقت، قال لنا: «في نيسان 2011 قطع النظام الإنترنت عن مناطق ريف حماة، مما اضطرّنا إلى المغامرة والتسلل إلى مدينة السقيلبية -التي يسيطر عليها النظام ولم يقطع عنها الخدمات- لنرفع مقاطع فيديو المظاهرات، والتي كانت تحتاج إلى ساعاتٍ من الانتظار ليتمّ تحميلها وإرسالها إلى المحطات رغم أن مدتها لا تزيد عن 30 ثانية».

وقد أسهم بعض المغتربين في تقديم حلٍ جزئيٍّ للمشكلة بإدخال أجهزة الإنترنت الفضائيّ (أسترا Astra) و(الثريا Thuraya) إلى المناطق الثائرة. وتبلغ سرعة التحميل عبرها 500 كيلوبايت في الثانية، ما سهّل على الناشطين القيام بعملهم بشكلٍ أفضل. لكن المستفيدين من هذه الأجهزة ظلوا قلة، بسبب تكلفتها العالية ومحدودية عدد الأجهزة التي دخلت إلى البلاد في ذلك الوقت. ويتكون جهاز الأسترا من (ريسيفر) ولاقط (إبرة) وصحنٍ يستقبل تردّدات القمر الصناعيّ الذي تتمّ عبره عمليات التحميل والتنزيل. كما يتميّز بسرعة تركيبه وسهولة نقله من مكان إلى آخر. وفي نهاية عام 2011 دخل جهاز (آي دايركت iDirect) الذي كانت سرعته أفضل بكثير من أسترا، فهو مفتوح التحميل ولكنه مكلفٌ إذ يصل شحنه إلى 1000 دولار في الشهر، ما جعل السوريين يبحثون عن حلولٍ أخرى، إلى أن نجحوا في تأمين جهاز (التووي Tooway)، الذي كان خير بديلٍ عما سبقه وأقلّ تكلفة. ومن الأجهزة التي استخدمها الناشطون أيضاً (الأوربيت Orbit) و(الهيوز Hughes).

أما أفضل الحلول التي استخدمت فهو جرّ الإنترنت التركيّ إلى المناطق الخارجة عن سيطرة النظام داخل سوريا منذ بداية العام 2013. وهو يقدّم خدمةً بسرعاتٍ كبيرةٍ وميزاتٍ جيّدة، ويعتمد على المخدّمات التركية، بعد أن سمحت الحكومة هناك بإيصاله إلى الأراضي السورية المحرّرة، من خلال شراء برجٍ متصلٍ بالأبراج داخل الأراضي التركية يقوم المستثمر بتركيبه لتأمين تغطية المنطقة التي يوجد فيها. وتطوّرت تغطية النت التركيّ بشكلٍ سريعٍ ليصل إلى وسط سورية بعد أن بقي محصوراً لمدّةٍ بالمناطق الحدودية.

ولم تقتصر خدمات الإنترنت التركيّ على مكاتب الإعلاميين، بل كان له دورٌ كبيرٌ في افتتاح صالاتٍ خاصّة لخدمة الإنترنت (المقاهي) التي أسهمت أيضاً في إيصال تلك الخدمة إلى منازل المدنيين من خلال توزيع باقاتٍ من المقهى، ومن ثمّ يتمّ تقسيم الحزمة إلى باقاتٍ عن طريق أجهزةٍ خاصّة، ويشترك المواطن بهذه الخدمة ليستقبلها بعدّة طرق؛ إما بشراء بطاقات نت ويستخدم الشبكة التي تغطي المدن والقرى والبلدات الخارجة عن سيطرة النظام، أو عن طريق اشتراكٍ خاصٍّ من المزوّد الأساسيّ للخدمة في المنطقة التي يسكنها، يستقبله في منزله عن طريق مستقبلٍ للخدمة ويعيد نشرها عن طريق «راوتر».

وعن ذلك يحدثنا السيد ماهر، وهو واحدٌ من عشرات مزوّدي خدمة النت التركيّ في مدينة إدلب، قائلاً: «نقوم باستجرار الإنترنت من تركيا عن طريق أجهزةٍ تلتقط الإشارة ثم تعيد نشرها مرّة أخرى. نحتاج إلى جهاز كل 10 كم حتى تصل الخدمة إلى مدينة إدلب وريفها وبعض مناطق محافظتي حمص وحماة».

ويتطرّق السيد ماهر إلى الصعوبات التي تواجههم قائلاً: «الحصول على قطع التبديل، وحالة الطقس السيئة، والناحية الأمنية؛ إذ لا نستطيع إصلاح عطلٍ ما في الأجهزة الناقلة الوسيطة -والموجودة في مناطق مرتفعةٍ غالباً- بسبب التحليق الكثيف للطيران. كما نعاني من التكلفة الباهظة والفارق الكبير في سعر الصرف؛ فالمستخدم يدفع لموزّع الإنترنت بالليرة السورية بينما يتعامل الأخير بالدولار لشراء الأجهزة وبالليرة التركية لدفع الرسوم العالية».

كيف يعيش الديريّون في أورفا

معاذ الطلب

في ساحة المدفع أو «الطوبجي ميدان» الشهيرة، وسط المدينة التركية، يُسمع صوت المطرب العراقيّ جبار عكار من محلّ صيانة أجهزة الجوّال. يعلّق أحد المارّة، وهو من مدينة دير الزور: «جبار عكار!! حتى بالدير ما ظل أحد يسمع له بالسنوات الأخيرة قبل الثورة. أكيد اللي قعد يسمعه ديري».

بإصرار يحاول أبناء دير الزور نقل أمزجتهم أينما رحلوا. ويأخذ حضورهم نموذجاً متحدياً ظروف عيشهم، وهي في أورفا -كما في المدن التركية الأخرى- بالغة القسوة، يعانون فيها من البطالة والعوز الدائمين، فضلاً عن مشكلات التعليم والصحة والسكن.

يبلغ عدد لاجئي محافظة دير الزور في ولاية أورفا ما يقارب 200 ألف، حسب ما يقدّر ناشطون في منظمات الإغاثة. يقطن نصفهم في المخيّمات ويتوزّع الباقي على عموم الولاية. نسبةٌ كبيرةٌ من «ديريّي أورفا» تقيم وسط المدينة في الأحياء القريبة من ساحة المدفع، بمتوسّط إيجار شهريٍّ 600 ليرةٍ تركية، فيما يتراجع هذا المعدّل في الأحياء الأبعد والشعبية. وظهر في أورفا ما يعرف بالسكن الشبابيّ، وهي بيوتٌ «عربيةٌ» ذات عددٍ كبيرٍ من الغرف، يستثمرها البعض بمبلغٍ محدّدٍ ليقوم بعد ذلك بتأجيرها بمتوسّط 150 ليرةً للفرد الواحد كلّ شهر. ازداد عدد هذه البيوت -التي تأوي العزّاب غالباً- إلى حدٍّ كبير، وشكلت نوعاً من الاستثمار للراغبين في تشغيل أموالهم. وهي أيضاً مكان إقامةٍ معقولٌ للشباب العاملين أو الباحثين عن عمل. يقول زاهر، وهو مالك أحد هذه البيوت: «يقصد أغلب الشباب هذا النوع من السكن لعجزهم عن استئجار منزلٍ كامل. وغالباً لا يأتون إلى المنزل إلا للمبيت، فهم يقضون أغلب يومهم في العمل».

يعمل القسم الأكبر من أبناء دير الزور في أعمالٍ يوميةٍ شاقة، كأعمال البناء المختلفة وأعمال التفريغ والتحميل وغيرها من الأعمال العضلية. ولا يزيد الأجر اليوميّ للواحد منهم على 40 ليرةً في غالب الحالات، في حين يتلقى العمال المهرة -أو ما يعرف بـ«المعلمين»- أجراً أعلى بقليل. يقول وائل، خرّيج كلية الاقتصاد والمعيل لزوجته وابنته: «بحثت كثيراً عن عملٍ بأجرٍ يكفيني فلم أجد إلا العمل كمندوب مبيعاتٍ براتب 500 ليرةٍ شهرياً. ثم عثرت على عملٍ في فرنٍ بأجرٍ أعلى، لكني اضطررت إلى العودة إلى عملي السابق بعد إغلاق الفرن».

ويبدو المعلمون الموظفون في المدارس التي تشرف عليها الحكومة التركية أوفر حظاً من العمال، إذ يتلقون مبلغ 900 ليرةٍ شهرياً مقابل خمسة أيام عملٍ في الأسبوع وعددٍ قليلٍ من ساعات الدوام.

تعدّ المساعدات المالية الشهرية التي يرسلها الأقرباء أو أفراد الأسرة المقيمون في الخليج مصدر دخلٍ مهمٍّ لكثيرٍ من العائلات. لكنه غير كافٍ دون دخلٍ آخر، مثل افتتاح محلٍ بقالةٍ أو خضار، أو مطعمٍ أو مقهى بالنسبة إلى بعض الميسورين.

تقدّم الحكومة التركية الخدمات الصحية مجاناً لمن يحمل بطاقة الكملك، ومع ذلك قامت بعض المنظمات بافتتاح مراكز صحيةٍ مجانية، كمركز «بنيان» للاستشفاء الذي أسّس في نهاية العام 2012 كأول المراكز الطبية المجانية، ويديره أطباء وممرّضون من أبناء دير الزور اللاجئين في تركيا. يقدم هذا المركز خدماتٍ كاملةً تقريباً للمرضى السوريين. ويقول مديره الصيدلانيّ مثنى العيسى: «يقوم المركز باستقبال المريض قبل وبعد العمل الجراحيّ. ويرافقه الكادر إلى المشفى التركيّ لإجراء الفحوصات وتوفير خدمة الترجمة وتقديم الإشراف العلاجيّ والإقامة المجانية والتأهيل الطبيّ والفيزيائيّ حتى الشفاء الكامل».

وكمبادرةٍ للتخفيف من المصاريف العلاجية ولتجاوز عائق اللغة أنشئت «فرات الموحدة»، وهي منظمةٌ قامت بجهود أبناء المحافظة في الخارج، كمركزٍ صحيٍّ يضمّ الأقسام التالية: العيادة السنية، العيادة الداخلية، العيادة النسائية، عيادة الأطفال، الصيدلية المجانية، المخبر المجانيّ. يقول محمود الجيال، مدير المنظمة: «يقصد السوريون هذا المركز بسبب صعوبة فهم المريض للطبيب التركيّ وحاجته الدائمة إلى المترجم. وبلغ عدد المراجعين له 1784 مريضاً في آذار الماضي».

كما بادر عددٌ كبيرٌ من الشخصيات الديرية إلى تشكيل «تجمع أبناء دير الزور في أورفا»، كمحاولةٍ لجمع الجهود وصبّها في خدمة اللاجئين وتقديم الخدمات الإغاثية والتوثيقية. وتشكلت في الآونة الأخيرة العديد من التجمعات السياسية والنقابات والروابط المهنية الساعية إلى تأطير أبناء المحافظة ضمن عملٍ مؤسّساتيّ.

من أحد نشاطات فرات الموحدة

معارك تنظيم الدولة في دير الزور

من الحرب العمودية المركّزة إلى الحرب الأفقية المضطربة

سمهر الخالد

على مدار السنة والنصف الماضية خاض تنظيم الدولة الإسلامية، منذ سيطرته على دير الزور، العديد من المعارك ضدّ قوّات النظام التي تسيطر على بعض أحياء المدينة وأطرافها، وتحيطها بقطع عسكرية أهمّها المطار ومعسكر الطلائع واللواء 137. كان بعضُ المعارك دفاعيّاً، كما في نهاية 2014 في حيّ حويجة صكر، وأغلبها هجوميّ، كما في معركة الجبل جنوبيّ المدينة ومعارك المطار، وبعض نقاط التمركز الأساسية في الأحياء الطرفية كما في حيّ جميّان. ولكن يجمعها الوصف بأنها معارك مركّزة.

حاول التنظيم في معاركه الأولى إحاطة قرار التجهيز للمعركة بسرّية تامة، لكن الأخبار كانت تتسرّب رغم هذا بسبب الحشد الضخم لها وعدم تشتيت الجهود في اشتباكاتٍ جانبية. وقد دفع فقدان عنصر المفاجأة التنظيم أكثر من مرّةٍ إلى شنّ حملات اعتقالٍ متعدّدةٍ بدعوى البحث عن أعوان النظام. لكنه مع الوقت، ولاستحالة السرّية، راح يبثّ خبر التجهيز للمعركة عن طريق عناصره أنفسهم، الذين كانوا يخبرون الأهالي أنه «بي عمل»، دون ذكر تفاصيل أخرى. وصار يلجأ في بعض الأحيان إلى حشد السلاح الثقيل والعتاد، قبل أيام، في أماكن بعيدةٍ عن أرض المعركة المقرّرة، لتشتيت الخصم. ولكنه، في المقابل، كان يحشد للمعركة أحياناً متانياً وبوضوح، دون أن يترك مجالاً للشك في مكانها، مع الاحتفاظ بسرّية توقيتها، مما كان يتيح للطرف الآخر حشد السلاح والذخائر والعناصر بتأنٍّ مماثل.

إن الأجواء التي يفرضها التنظيم قبل المعارك في دير الزور، والتي يسود فيها الهدوء التامّ لعدّة أيام، والتحرّك المريب، وإبلاغ العناصر، واستنفار الطاقات، ورفع أهبّة الاستعداد على كافة المستويات؛ كانت توحي (أو تحاول أن توحي؟) أنها مقدّمةٌ لمعركةٍ بين جيشين متكافئين. كما أن تلك الدلالات لم تقتصر على جوّ ما قبل المعركة، بل كانت تتعدّاه إلى وقتها ذاته، إذ إن الاشتباكات تنحصر بالجبهة المشتعلة فقط، بعد المفخخة التمهيدية بالطبع، فيما تعيش الجبهات الأخرى في هدوءٍ تامّ، معزولةً عن الأعمال القتالية، ولا يسمع فيها صوت رصاصة.

بدا واضحاً من صدّ النظام للهجمات الكبيرة والمتكرّرة أن معرفته قرار المعركة ومكانها أتاحت له أن يتجهّز لها جيداً، كما يلاحظ العديد من عناصر التنظيم المحليين بقولهم «الجيش يستنانا»، الجملة التي كانت حاضرةً عقب كلّ معركةٍ تقريباً. كما أفاد عددٌ من عناصر الجيش الحرّ (المناصرين) بأن حيّ الجبيلة، الذي حيّد لفترةٍ طويلة، على سبيل المثال، كاد أن يكون خالياً من قوّات جيش النظام أثناء أكثر من معركة، واستبدلت به الشرطة على أكثر من جبهة. كما أن لجوء طرفي النزاع إلى سحب الكثير من قوّاتهما في دير الزور باتجاه الحسكة، منتصف 2015، لخوض المعركة هناك، كانت له دلالةٌ كبيرةٌ على صعيد شكل المعارك التي يخوضانها، إذ بدا أنهما حيّدا دير الزور في تلك الفترة، وذهبا للاقتتال في مكانٍ آخر.

على أن نمط المعارك التي وصفناها توقف مع معركة البغيلية منذ شهرين. إذ تبدو معارك التنظيم في دير الزور اليوم مشتتةً دون تجهيزاتٍ ضخمةٍ أو هدفٍ معيّن تحاول أن تحققه. ففي الأيام الفائتة لجأ التنظيم إلى فتح معارك جزئيةٍ صغيرةٍ تنتقل الاشتباكات فيها من محيط المطار إلى حيّ هرابش شرقاً وفندق فرات الشام غرباً عن طريق انغماسيين، ثم لتنتقل إلى أحياء العرفي والجبيلة والحويقة والرشدية ثم الصناعة والرصافة. تتخلل ذلك اشتباكاتٌ تشمل كافة جبهات المدينة، وبعض المفخخات هنا وهناك، وقصفٌ باتجاه الأحياء الخاضعة للنظام. بالتزامن مع أخبارٍ تفيد أن سيارات التنظيم تجوب الريف وتحضّ الأهالي على (الجهاد) عبر مكبّرات الصوت، ما حمل العديد من مقاتلي الحرّ على الاعتقاد أن تخبّط تلك المعارك جاء بسبب قلة العنصر البشريّ في التنظيم، ما يدفعه إلى خوض اشتباكاتٍ بسيطةٍ وموزّعةٍ بتكلفةٍ قليلةٍ من ناحية العناصر والسلاح. مع ملاحظة أن التنظيم، وفي خضمّ هذه المعارك، دفع بتاريخ 25 آذار بأكثر من مئة عنصرٍ من المدينة باتجاه تدمر، ما قد يفسّر المعارك بأنها محاولةٌ لتشتيت الانتباه وتخفيف حدّة الهجوم هناك، خاصّةً في ظلّ إصرار النظام على استرجاع تدمر.

من غير المعروف سبب التغيّر الأخير في نمط معارك التنظيم في دير الزور، ولكن المؤكد أنه إذا كانت المعارك القديمة توحي بتفاؤله واعتداده بـ«دولته» فللمعارك الأخيرة طابع الانكسار والخيبة وعدم التركيز.

من سيرة داعش في درعا

(شهادة)[1]

د. محمد العمّار [2]

تشهد درعا -مهد الثورة- وأريافها، خاصّةً الغربية منها، تطوّراتٍ تعدّ الأخطر منذ انطلاقة الثورة في الثامن عشر من شهر آذار لعام ألفين وأحد عشر. لكن المراقب لسير الأحداث يستطيع أن يدرك أن هذه الحرب هي تطوّرٌ للحرب التي بدأت قبل حوالي العام في ريف القنيطرة، وخاصّةً في منطقة القحطانية، حيث تحصّنت جماعةٌ إسلاميةٌ وشكّلت ما يشبه إمارةً صغيرة، واصطدمت مع جبهة النصرة في ما يعدّ صراعاً على النفوذ في المنطقة بين الفريقين اللذين دارت بينهما حربٌ ضروسٌ امتدّت حوالي الشهرين، استطاعت النصرة أن تورّط فيها فصائل من الجيش الحرّ أشهرها ألوية الفرقان وجبهة ثوار سوريا، وسقط فيها حوالي المئتي قتيل من الطرفين، واتُّهمت فيها الجبهة بتصفية إسلاميين بعد أن ألقوا سلاحهم، وبالإجهاز على الجرحى. بانتهاء هذه الحرب لم تنته المشكلة بل تطاير شررها في ما بعد ليلهب حوض اليرموك الذي يسيطر عليه لواء شهداء اليرموك[3]، إثر لجوء قائد حرب القحطانية، أبو مصعب الفنوصي، إلى هذا اللواء الذي تقدّم واقتحم أحد حواجز الجبهة في بلدة سحم الجولان وقتل خمسةً من عناصرها.

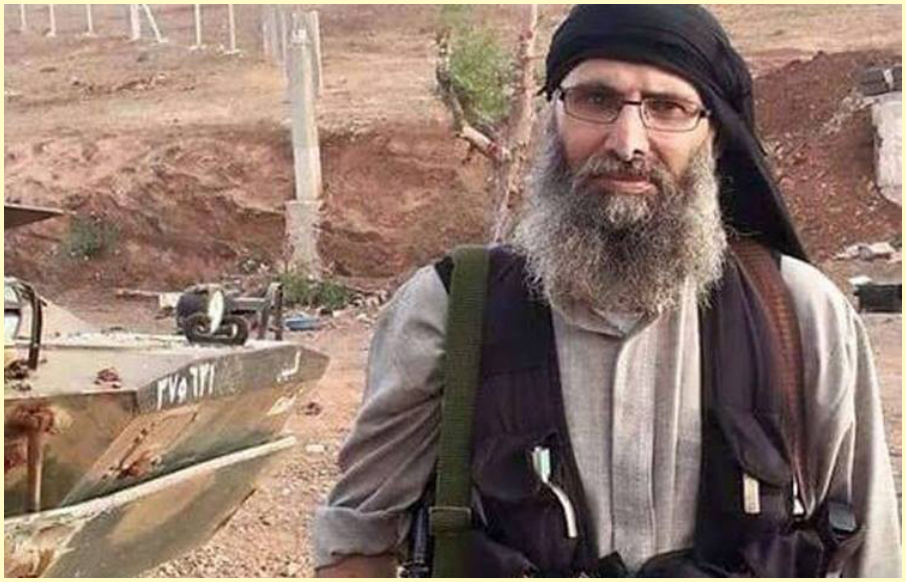

أبو علي البريدي (الخال)

كان الطرف القويّ في الحرب الأولى على لواء شهداء اليرموك هو جبهة النصرة، التي استطاعت توريط دار العدل وأحرار الشام في المعارك، بحسب المعلومات المتوافرة لديّ، وخبرتي في مساعي الصلح التي استمرّت طيلة الصيف الماضي وكنت من أطلقها، لحقن الدم وصيانة السلم بين الفصائل ومنع تحوّل السلاح إلى لغة حوارٍ بينها، وإظهار المجتمع المدنيّ في ريف درعا كقوّة فصلٍ ومصدر سلطة. لكن هذه المساعي واجهتها لغةٌ خشبيةٌ وموقفٌ متصلبٌ غير قابلٍ للتفاوض من جبهة النصرة ودار العدل، في حين كان «الشهداء» مع أيّ مسعىً للصلح، وكانوا مستعدين لتقديم أيّ تنازلٍ في سبيل وقف الحرب وإنهاء النزاع. الأمر الذي كان الطرف الآخر يشكّك فيه بصورةٍ دائمة، ويرى أنه استراحة محاربٍ للاستعداد للحرب الفاصلة، وهو ما لم نجد عليه دليلاً إلا سوء الظن، وغلبة الشائعة، والموقف المسبق من الآخر.

انتهت محاولات القضاء على لواء شهداء اليرموك بفشلٍ ذريع، زاد ثقة اللواء في نفسه. وكانت الحرب قد اضطرّته إلى الاستقواء بأيّ ناصر، ويبدو أن داعش قدّمت له بعض المدد. وصرنا في كلّ مرّةٍ نلحظ تغيّراتٍ في اللواء حتى أخذنا، في الآونة الأخيرة، نسمع لغةً مختلفةً تماماً عما كنا نسمعه في السابق. صار الحديث عن مشروع الدولة الإسلامية صريحاً واضحاً، وصارت اللغة الخشبية والمواقف الحديدية غير التفاوضية حاضرةً بقوّةٍ في أحاديثهم، وبدأت القيادة التاريخية تفقد قدرتها على

---

1 – لا تتبنى «عين المدينة» ولا تنفي المعلومات الواردة في هذه الشهادة.

2 – طبيبٌ ومعارضٌ سياسيٌّ من مواليد 1962. كان على قائمة الممنوعين من السفر قبل الثورة، واعتقل خمس مرّاتٍ في سياق الثورة. يدير حالياً عيادةً عامةً خيريةً ومركزاً للحراك السلميّ في ريف درعا الغربيّ (جاسم). وله نشاطٌ اجتماعيٌّ واسع.

3 – لواء من ألوية الجيش الحرّ سيطر على منطقة حوض وادي اليرموك. منتسبوه من أبناء المنطقة، وله ماضٍ مجيدٌ كجيش حرّ يسيطر عليه إسلاميون من أبناء المنطقة. انضمّ إليه بعض المتشدّدين الذين انشقوا عن النصرة وكانوا السبب المباشر في تشدّد اللواء بحسب ما بيّنت مشاهداتنا، وحاولوا أن يفرضوا عليه فقهاً متشدداً أحادياً، مع ميل إلى التكفير والحزفية، الأمر الذي كان يتحفظ عليه القادة التاريخيون للواء، لكن الحرب الجائرة وحاجته إلى المدد هي التي ألقت به في أحضان تنظيم الدولة. وكان ممن لجأوا إلى اللواء الشرعيّ العام للنصرة في مدينة إنخل أيام ازدهار النصرة فيها، وهو أردنيٌّ درس الهندسة المدنية يدعى أبو عبد الملك. وفي ثاني زيارةٍ لنا لأبي علي البريدي (الخال)، قائد لواء شهداء اليرموك وقتها، استدعى الرجل ليرى رأيه في ما نقوله عن عبثية الحرب وآثارها المدمّرة على المنطقة والثورة. وكان موقفه إيجابياً، فقد دارت بيننا حواراتٌ عميقةٌ لما تقابلنا في إنخل بالصدفة خلال إحدى زياراتي للمشفى الميدانيّ.

اتخاذ القرار لصالح قياداتٍ شابةٍ وافدة، يغلب عليها التشنج والسطحية والحزفية. في هذا الوقت بالذات بدأت الجبهة الأخرى تشعر بالخيبة وانسداد الأفق وتحاول تأجيل المعركة. اجتمعنا في لجنة الصلح لتسجيل شهادةٍ تسمّي الأمور بأسمائها وتنشر في الإعلام، ولاعتباراتٍ كثيرةٍ ليس هنا مجال ذكرها أعلنت انسحابي من اللجنة.

وفي ذلك الوقت تغيّرت قيادة الجبهة وتسلمها رجلٌ لا نعرفه لكننا سمعنا سابقاً أنه من حمائمها، وأنه يحترم مساعي اللجنة، وأنه يميل إلى الصلح. فاتصلت بقائد لواء الشهداء أبو عبيدة، وهو فلسطينيٌّ سوريٌّ من مخيم درعا للاجئين الفلسطينيين، في الخمسينات من العمر، وله ماضٍ جهاديٌّ في أفغانستان، وقد تولى قيادة اللّواء بعد مقتل القائد السابق أبو علي البريدي (الخال) في عمليةٍ انتحاريةٍ دبرتها جبهة النصرة، وألمحت له أنني أرغب في تجديد مساعي الصلح، خاصّةً وأن هناك حدثين مهمين في درعا:

- تسلم أبو أحمد أخلاق قيادة جبهة النصرة.
- حاجة جبهة درعا إلى وحدة السلاح بعد بدء معركة الشيخ مسكين التي استطاعت قوّات النظام، مدعومةً بالطيران الروسيّ، السيطرة عليها بعد معارك دامت حوالي الأربعين يوماً تمخّضت عن التدمير الكامل للمدينة، إذ لم تتمكن قوّات النظام من التقدّم إلا بعد أن حوّلتها إلى ركام، وفقدت ما يربو على ألف قتيل.

لم يتقبل أبو عبيدة الفكرة. وقال ما فهمت منه إنهم ينشطون في زرع خلايا نائمة، وإنهم يفكرون في التمدّد إلى باقي المحافظة. بعد أيام سمعت من أحد الناشطين عن قيام بعضٍ الإسلاميين حسني السمعة، بقيادة مالك فيصل الفروان، بتشكيل فصيلٍ إسلاميٍّ في مدينة إنخل. عندها تذكرت مقولة قائد شهداء اليرموك وقلت لصاحبي إنهم من جماعة الشهداء، فأنكر ذلك. وقاموا باستدعاء قائد الفصيل الجديد إلى تجمّع الخير والإصلاح في مدينة إنخل[4] فأنكر أيّ صلةٍ لهم بجماعة الدولة، وقبلوا منه ذلك. بعدها نشطت عملياتٌ في المنطقة كان معظم القتلى فيها من منتسبي جبهة النصرة،

وقُتل بعض من أصبحوا يعرفون باسم (الدواعش)، وأصبح الفصيل المشار إليه في إنخل أكثر ميلاً إلى التحدّي والتصريح عن الذات. وفي الجمعة التي سبقت اندلاع المواجهات، التي بدأت صبيحة يوم الجمعة في الثامن عشر من شهر آذار لعام ألفين وستة عشر، قاموا بالظهور العلنيّ المسلح في أحد المساجد، وصرّح خطيبهم بكفر منتسبي الجيش الحرّ واستباحة دمائهم واستحلال أموالهم...

تنبّه منتسبو الجيش الحرّ إلى خطورة الأمر، وقرّروا إخراج الفصيل من إنخل. وتولى الموضوع لواء مجاهدي حوران وآزرته معظم فصائل الجيش الحرّ في المدينة وجبهة النصرة. وتمّت بينهم مفاوضاتٌ -توسّط فيها تجمّع الخير والإصلاح- توّجت بالاتفاق على خروج الفصيل ظهر اليوم التالي. وفي صباح الموعد المحدّد تطوّرت مشادّةٌ كلاميةٌ بين أحد المسؤولين السياسيين للجيش الحرّ وصديق له ينتمي إلى النصرة وبين جماعةٍ من (الدواعش) إلى إطلاق نار قتل على إثره أربعة أفرادٍ ينتمون إلى النصرة والجيش الحرّ، واندلعت المعارك التي حقق فيها منتمو «الدولة» تقدّماً ملحوظاً في اليوم الأول، مما يؤكد ادّعاء قادة الجيش الحرّ بأن (الدواعش) غيّروا النية وفكروا في السيطرة على المدينة، وأنهم من بدأ الحرب. وفي اليوم الثاني انقلبت الأمور وسيطر الجيش الحرّ المتحالف مع النصرة، وقرّر منتسبو «الدولة» المغادرة، وتمكنوا من ذلك بطرقٍ مختلفة. وانجلت المعركة عن خروجهم من المدينة، وقتل قائدهم وحوالي عشرة أشخاصٍ معظمهم من الحرّ والنصرة. أحسّ لواء شهداء اليرموك بخسارةٍ كبيرةٍ بخسارته مدينة إنخل التي كان يظنّ أنها في قبضته، فقام بمباغتة الجيش الحرّ وهاجم بلدة تسيل، ثم اقتحم بلدة سحم وتعثرت خطاه وتوقف تقدّمه على أبواب بلدة حيط. وفي حدثٍ مؤثرٍ ومتوقعٍ أعلنت حركة المثنى[5] في اليوم التالي انضمامها إلى المعركة لصالح شهداء اليرموك، وقطعت الطرق في أماكن سيطرتها. خسرت الحركة بعض مواقعها وكسبت بعض المواقع. وفي المقابل تحرّك الجيش الحرّ بتثاقلٍ وبأسلوبٍ رخوٍ ومتردّدٍ. وقام، في الأيام الأخيرة، باستعادة جزءٍ من بلدة تسيل وحاجزٍ كبيرٍ من حواجز اللواء.

أعتقد أنّ الجيش الحرّ قادرٌ، من حيث العدّة والعدد، على كسب المعركة وإنهاء وجود داعش في حوران، لكن تنقصه الإرادة والعزيمة لفعل ذلك. وأعتقد أن خروج اللواء من مواقعه وتمدّده سيضعفه ويجعله عرضةً لخسائر قد تكون بداية النهاية لهذه الظاهرة في درعا.

النصرة تقاتل داعش في درعا

4 - تجمعٌ مدنيٌّ منبثقٌ عن مركز الحراك السلميّ في جاسم.

5 - حركةٌ إسلاميةٌ متشدّدةٌ لها إنجازاتٌ كبيرةٌ في جنوب درعا في الحرب ضد النظام. كان بعض قادتها وسطاء في الحرب الأولى ضد لواء شهداء اليرموك، مع تعاطفٍ واضحٍ مع اللواء. اتهمت أخيراً ببعض الممارسات الخطيرة، كاغتيال رئيس دار العدل واختطاف المحافظ.

قائد مجلس شورى الشعيطات:

لم نخرج من الثورة حتى نعود إليها

نتعاون مع كلّ من يريد دحر داعش والنظام، ونتبرّأ ممّن يقاتل مع النظام ومع ميليشيات pyd

اختار أبناء عشيرة الشعيطات المقيمون في محافظتي إدلب وحلب عبد الكريم محمد الحماش، المعروف بـ«أبو ريتاج»، قائداً لـ«مجلس شورى عشيرة الشعيطات في الشمال». وأثار البيان المصوّر الذي نشره المجلس اهتماماً كبيراً في مجتمع محافظة دير الزور، وخاصّةً مع حسم المجلس موقفه من بعض ما يجري من أحداث.

ما هو مجلس شورى الشعيطات في الشمال؟ ومن هم مؤسّسوه؟

المجلس جسمٌ مؤلفٌ من شقين؛ شقٌّ مدنيٌّ يعنى بالشؤون العامة للعشيرة ويسعى إلى تخفيف معاناة أبنائها، وخاصّةً من يقيم منهم في محافظتي إدلب وحلب، وشقٌّ عسكريٌّ يتألف من أبناء العشيرة المقاتلين بعد أن فكوا ارتباطهم بفصائلهم التي تقاتل في حلب وإدلب واللاذقية وحماة وفي مناطق سورية أخرى. لدينا حوالي 250 عائلةً من العشيرة نازحةً في البلدات الحدودية من محافظة إدلب، سيعنى مجلسنا بهم ويسعى إلى توفير احتياجاتهم بقدر ما يستطيع، ولدينا مئات المقاتلين انضمّوا إلى المجلس وسيقاتلون تحت رايته.

أسّس المجلس قادةٌ عسكريون سابقون في تشكيلات الجيش الحرّ التي قاتلت في دير الزور، ونشطاء مدنيون من أبناء العشيرة.

قبل أيام أذعتم بياناً تؤكّدون فيه انتماءكم إلى صفّ الثورة وتتبرّأون من بعض من انضمّ إلى تشكيلات تتبع للنظام؛ لماذا تأخر تبرّؤكم كلّ هذا الوقت، بعد أكثر من عام على تشكيل ما يسمّى بـ«جيش العشائر»؟

نحن لم نخرج من صفّ الثورة حتى نرجع إليه. عند وصولنا إلى الشمال انضوينا تحت راية الفصائل الموجودة فيه، وقدّمنا العديد من الشهداء في جبل التركمان وإدلب وحماة وريفي حلب الجنوبيّ والشماليّ ومطار أبو الظهور العسكريّ. ونحن نبرأ من كلّ شخص يعادي الشعب السوريّ أياً كانت مدينته أو عشيرته. ووجودنا في عدّة فصائل في السابق أخّر الخروج بهذا البيان. لكننا بعد تأسيس المجلس سارعنا إلى إعلان هذه البراءة.

يرفع بعض المنتمين إلى ما يعرف بـ«قوّات سوريا الديمقراطية» من عشيرتكم علم الثورة؛ لماذا تتبرّأون منهم أيضاً؟

نحن نوالي الشعب السوريّ ونعادي من يعاديه وإن رفع علم الثورة. فجيش الثوّار، مثلاً، يرفع علم الثورة، لكنه يساند مليشيا البكك ضدّ الثورة وأهدافها وضدّ أبناء شعبنا، فنحن نعاديه ونشارك مع باقي إخواننا الثوار ضدّ هؤلاء. لذلك نحن نتبرّأ من كلّ من يقاتل مع هذه القوّات.

ألا يمكن أن تتفهّموا موقف من انضمّ إلى «قوّات سوريا الديمقراطية» كردّة فعل على ما قامت به «داعش» من فظائع؟

إن الفظائع التي ارتكبتها ميليشيا pyd في حقّ القرى العربية في الرقة والحسكة وحلب لا تقلّ عن جرائم داعش في حقّ عشيرتنا وفي حقّ الشعب السوريّ كله. وإن العلاقة الواضحة والأكيدة بين قوّات الأسد وهذه الميليشيات لا تسمح لأيّ شخص انتمى إلى الثورة في وقتٍ من الأوقات أن يتحالف معها أو يشاركها في أيّ تشكيل. فدماء الشعب السوريّ واحدة، كما أن ثورته ثورةٌ واحدة.

لماذا لا تعدّون تحالف «قوّات النخبة» مع pyd تحالف مصلحة لتسهيل الطريق إلى دير الزور؟ ولماذا تحمّلون هذه القوّات مسؤولية ما فعله حزب pyd؟

قوّات pyd تقاتل إلى جانب النظام في محافظة الحسكة، وشاركت مع قوّات الأسد وشبّيحته في قمع المظاهرات وفي قصف الأحياء الثائرة في مدينة الحسكة. علينا أن لا ننسى ذلك. وهي أيضاً متحالفةٌ مع الميليشيات الطائفية في نبّل والزهراء، وشاركت في الهجوم الأخير على ريف حلب الشماليّ، وشرّدت -مثل النظام- مئات الآلاف من المدنيين. وتحالفت هذه الميليشيا مع روسيا، ذاك العدو الذي ارتكب المذابح في حقّ شعبنا. أما عن الطريق إلى دير الزور فلا ننكر أن الموقع الذي تحتله ميليشيات pyd استراتيجيّ، لكن من يضمن عدم غدرها وخيانتها وهي ذات العلاقة الوطيدة مع النظام ومع أعداء الشعب السوريّ؟ إن من يريد تقسيم سوريا لا يمكن أن يسعى إلى مصلحة شعبها، ولذلك من المستحيل أن يكون طريق تحرير دير الزور من هناك.

ارتكب تنظيم «داعش» مجازر مروّعة في حقّ أبناء عشيرتكم؛ هل لديكم أيّ رؤىً خاصّة لتحرير محافظة دير الزور من هذا التنظيم؟

نحن جزءٌ من دير الزور المحتلة من داعش، وسنكون سنداً لإخواننا من باقي العشائر في تحريرها. لا نملك عصاً سحريةً نحرّر بها دير الزور وحدنا، ولذلك يجب أن نتعاون مع كلّ من يريد دحر داعش ودحر النظام، ومع كلّ من لا يزال محافظاً على انتمائه إلى الثورة.

عندما اندلعت الثورة كان عبد الكريم حماش مدير مدرسة في بلدته غرانيج (90 كم شرق دير الزور). وخلال الأشهر اللاحقة تحوّل من متظاهر سلميّ إلى مقاتل في كتيبة القادسية، التي غيّرت اسمها إلى كتيبة ابن القيّم، ثم توسّعت إلى لواءٍ بالاسم ذاته بقيادة أبو ريتاج.

الشهابي فارس صناعيٌّ ليس كغيره

م. أحمد عبدو

تعود أصول عائلة الشهابي إلى مدينة الباب الواقعة إلى الشرق من حلب (35 كم)، والتي اقترن اسمها منذ انقلاب حافظ الأسد (1970) باسم حكمت الشهابي، رئيس المخابرات العسكرية لثلاثة أعوام 1971–1974، ثم رئيس الأركان وأحد أبرز المسؤولين عن الملف اللبنانيّ، حتى تقاعده في نهاية تسعينيات القرن الماضي.

منصب الشهابي وقربه من الأسد فتحا الباب واسعاً أمام أبناء الجيل الثاني من عائلته في المنح التعليمية خارج البلاد والفوز بما يشاؤون من فرص في التجارة والصناعة. ومن أفضل النظام على العائلة، أو أفضل الخال حكمت، إيفاد ابن شقيقته فارس لدراسة الهندسة الصناعية على نفقة الدولة في جامعة أوهايو الأمريكية.

في التسعينيات بدأ مشوار الحدّ من القيود الاقتصادية في سورية لصالح الطبقة الجديدة الصاعدة والباحثة عن الثروة نتيجة العلاقات العائلية والطائفية. واكتمل هذا المسار مع وراثة الابن بشار الحكم في صيف (2000)، تحت أسماء مختلفة كاقتصاد السوق الاجتماعيّ وغيره. أسّس فارس شركة ألفا للأدوية في المنصورة (ريف حلب الغربيّ) في العام (1990). وهي شركةٌ تقع على مساحة (63000) م2 لإنتاج مختلف صنوف الأدوية، لتصبح من أهمّ الشركات الدوائية في سورية، بإدارة والده أحمد الشهابي وعضوية أخويه أيمن وحسام في مجلس الإدارة. كما كان الإخوة الثلاثة من مؤسّسي شركة شام القابضة (2006)، التي يملك رامي مخلوف أكثر من 51% من أسهمها، ويرئسها مع مجموعة من كبار رجال الصناعة والمال في سورية، بينهم فارس كعضو مجلس إدارة، برأسمال أوليٍّ قدره (350) مليون دولار، وبمشاريع تتجاوز المليار دولار في مختلف قطاعات الصناعة والاستثمار. إضافة إلى أن فارس ووالده من مؤسّسي فرنسبنك (2009) برأسمال قدره (5250000000) ل.س، أي ما يعادل وقتها حوالي (100) مليون دولار، مع مجموعة من الشخصيات الصناعية والسلطوية أهمّها علي وهيب مرعي (تاجر الحديد المرعب في الساحل السوريّ ومستورده الوحيد).

وبالرغم من الحديث عن أسهم للشهابي في بنك الشرق لكنه لم يُذكر بيّن المساهمين وفق صفحة البنك الرسمية. ناهيك عن الشركة السورية العربية للتأمين (2005) التي كان رأسمالها مليار ليرة، بما يعادل (20) مليون دولار. أضف إلى ذلك نشاطاته المشبوهة مع أمثاله من تجار الأدوية (محمد السخني مثلاً)، فتحت هذا البند من الصناعة كانت تتمّ التجارة بالمخدرات بحجة استخدامها في بعض الأدوية. كما يملك فارس معملاً لتنقية زيت الزيتون في المدينة الصناعية (حالياً مدرسة)، وغيره من شركات الاستيراد والتصدير.

انتخب الشهابي رئيساً لغرفة صناعة حلب في دورة (2009–2013)، وفي الدورة التالية (2014–2018)، كأصغر رئيس للغرفة في سورية، وفي العام (2014) رئيساً لاتحاد غرف الصناعة السورية. ولم يكن اختياره لأنه واحدٌ من أغنى (100) شخصية في البلاد، وإنما بسبب قربه من أجهزة السلطة، وخاصّةً المخابرات الجوية التي تعود علاقته بها إلى أكثر من عشر سنين أيام اللواء محمد بكور أوّل رئيس لفرع حلب. وخلال الثورة كان فارس واحداً من رعاة وممولي الشبّيحة في حلب.

يمضي الشهابي على طريق رامي مخلوف في نشاطه عبر الجمعيات الخيرية، فيقوم بتوزيع بعض المواد الغذائية وألبسة الأطفال ورعاية بعض النشاطات الخيرية ليروّج من خلالها لسياسة القتل التي ينتهجها النظام. إذ لا تخلو مناسبةٌ وحديثٌ له إلا ويدعو إلى عملية إبادةٍ وتطهير لبعض المناطق والأحياء التي ثارت مبكراً، واصفاً مدينة عندان بـ«المزبلة» التي يجب تدميرها وتسويتها بالأرض لتبنى مكانها مزارع للصناعيين والتجار، وكذلك «مستوطنة» حيّ بني زيد، كما يدعوها، أما حيّ بستان القصر فيسمّيه «بستان العهر»، متغنياً بالبراميل المدمِّرة التي يلقيها أسياده بأنها «نغمات مطربة» يحب السهر على أصواتها وهي تدك وتسحق «المتآمرين».

فارس الشهابي واحدٌ من الشخصيات التي نمت ضمن العلاقة التي وصفها الباحث ياسين الحاج صالح بـ«مخلوف أو مخالف»، فكان مع مخلوف تابعاً وشريكاً ليضمن لنفسه الحماية من تجاوزات رجال السلطة وقوانينها التي تطبقها وقتما تشاء وعلى من تريد. ثم ليلمع اسمه خلال سنوات الثورة لا كصناعيٍّ ومدافع عن الصناعيين، بل كشخصيةٍ حلبيةٍ ناطقةٍ باسم أجهزة القمع والتدمير إلى درجة التطرف، مبرّراً كافة أشكال القتل وداعياً إلى الإبادة الجماعية للثوّار ولمناطقهم.

البلد والأطراف في مدينة دير الزور عداءٌ أم استعداء؟

علي خطاب

تنقسم مدينة دير الزور منذ ثلاث سنواتٍ بين الأحياء الخارجة عن سيطرة قوّات النظام، وهي الأحياء التي تشكّل مركز المدينة أو ما يسمّى حالياً (البلد)، والأحياء الطرفية التي تسيطر عليها قوّات النظام (الجورة والقصور خصوصاً) وحيّ هرابش.

وينقسم ساكنو المنطقتين تبعاً لذلك إلى (أهل البلد) الذين اضطرّوا إلى النزوح بسبب قصف النظام، و(أهل الجورة والقصور) الذين لا زالوا يقطنون في منازلهم «وما إجاهم شي»، بحسب التعبير الدارج الذي يظهر في معرض المفاضلة بين ساكني المنطقتين منذ حصار جيش النظام للمدينة نهاية 2012 واستحالة التواصل بينهما.

قد يعبّر هذا التقسيم عن واقعٍ اقتصاديٍّ مفاده أن أحياء الأطراف تحوي اليوم فئاتٍ متوسطةً من الموظفين الحكوميين من عموم المحافظة، لكنه لا يعبّر بأيّ حالٍ عن أيّ انقسام اجتماعيّ. فسكان (البلد) نزحت غالبيتهم بأكثر من اتجاه، أحدها الجورة والقصور، كما أن كثيراً من (أهل الجورة والقصور) تركوا منازلهم لأسبابٍ على رأسها الأمنية، مع ملاحظة أنه لا يوجد أيّ تقسيم عائليٍّ أو عشائريٍّ أو مناطقيٍّ سابق يمكنُ أن يعزل المنطقتين ويجعلهما شديدتي الاختلاف. لكن منذ أصبح من الممكن التنقل بين قسمي المدينة عن طريق النهر، في بداية 2013، والخلافات تتسع بين ساكنيهما. وقد بدأت من واقع أنه ليس جميع ساكني (الجورة والقصور) من مؤيدي النظام والعكس بالعكس. ثم راح الطرفان، كلٌّ من موقعه السياسيّ الجديد، يشنّع على الخصوم الجدد، وبدأت تنطلق حملات التشهير المتبادلة. لتنتقل الاتهامات بوتيرةٍ متصاعدةٍ مع أحاديث تفيد بفرحة البعض أثناء قصف (البلد)، وسرقة البعض ممتلكات النازحين إلى (الجورة والقصور). ثم أخذ الأمر يتطوّر ليختلط العداء بالاعتراض على طريقة حياة شرائح من النساء واختلاطهنّ بعناصر النظام (أنشئت صفحاتٌ على الفيسبوك بدعوى فضحهنّ)، قابلته موجة طعنٍ بوضع ساكني (البلد) الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ، واتهام الثوّار بممارسة التشليح والسعي إلى الإثراء. لكن احتجاج الكثير من الناشطين في (البلد) على حصار أحرار الشام، نهاية 2013، للجورة والقصور تجاوز كلّ ذلك، رغم الدعوات الملحة وقتها من بعض الكتائب للهجوم على الحيّين والتمهيد لذلك بقصفهما.

قصف حيّي الجورة والقصور بمدافع محلية من مناطق داعش

لم يتغير الأمر كثيراً اليوم، فما إن يفتح تنظيم الدولة الاسلامية معركةً ضدّ قوّات النظام في دير الزور حتى يعود الجدل إلى الواجهة، جدل المفاضلة بين النظام والتنظيم الآن، ويعود معه القدح بساكني هذه المنطقة أو تلك. لكن ما زاد الأمر سوءاً حوادث سحل النظام جثث قتلى التنظيم في الجورة، أو عرض التنظيم جثث من يقتلهم من قوّات النظام دون رؤوس في البلد، وبطبيعة الحال تعود بعض هذه الجثث إلى شبانٍ من دير الزور لا يستطيع أقاربهم التصرّف حيال الأمر. بالإضافة إلى (فتاوى) بتكفير أهل الجورة والقصور أطلقها عناصر محليون في التنظيم، قبل أن يصدر الأخير موقفه الرسميّ، في الشهر العاشر من العام المنصرم، بعكس ذلك. على أن الأوضاع المتردية للسكان في الجورة والقصور بسبب الحصار المستمرّ حتى الآن خففت كثيراً من وطأة التقسيم، وجعلت الكثير من أهالي (البلد) والثوّار يتعاطفون معهم.

وبرصد مواقف الناشطين نلاحظ أن بعضهم، ورغم أنه مطلوبٌ للتنظيم أو لا يخفي عداءه له، قد اختار الوقوف إلى جانبه أو الترويج له والتعاطف معه في معركته مع النظام؛ «فالدولة تليقي كثيرين يساعدونك بحربك ضدها، بس النظام نقاتلو لوحدنا» كما يقول أحدهم، أو «داعش أفضل من النظام» كما يقول غيره، و«قلنا لهم يطلعون» للخلاص من مأساة الحصار كنوعٍ من الاستسلام النهائيّ. ومما يعبّر عن ذلك أيضاً ازدياد عدد متابعي صفحات الأخبار المحلية إلى ثلاثة أضعافٍ تقريباً أثناء التغطية الحماسية لتقدّم التنظيم، ليظهر في ما بعد الحرج من هذا الحماس بحذف الأخبار تدريجياً أو بتعديلها لتظهر بصفةٍ محايدة. وعلى الطرف المقابل فإن مما له بالغ الدلالة هنا أن تجد عباراتٌ تترحّم على قتلى النظام، أو تبشّر باقتراب سيطرة جيش الأسد على المدينة، طريقها إلى هذه «الصفحات الثورية» دون أيّ تعليقٍ من المتابعين، وهو ما لا نظير له في الصفحات السورية المماثلة.

على أن الكثير من متابعي هذه الصفحات لا يدع مناسبةً إلا ويذكر فيها تشابه النظام والتنظيم. وبالمقابل تدور المماحكات ولا تنتهي حول ما قدّمه أهل الريف أو أهل المدينة للثورة، أو ما أسهما فيه من تدمير المدينة أو استقبال داعش!

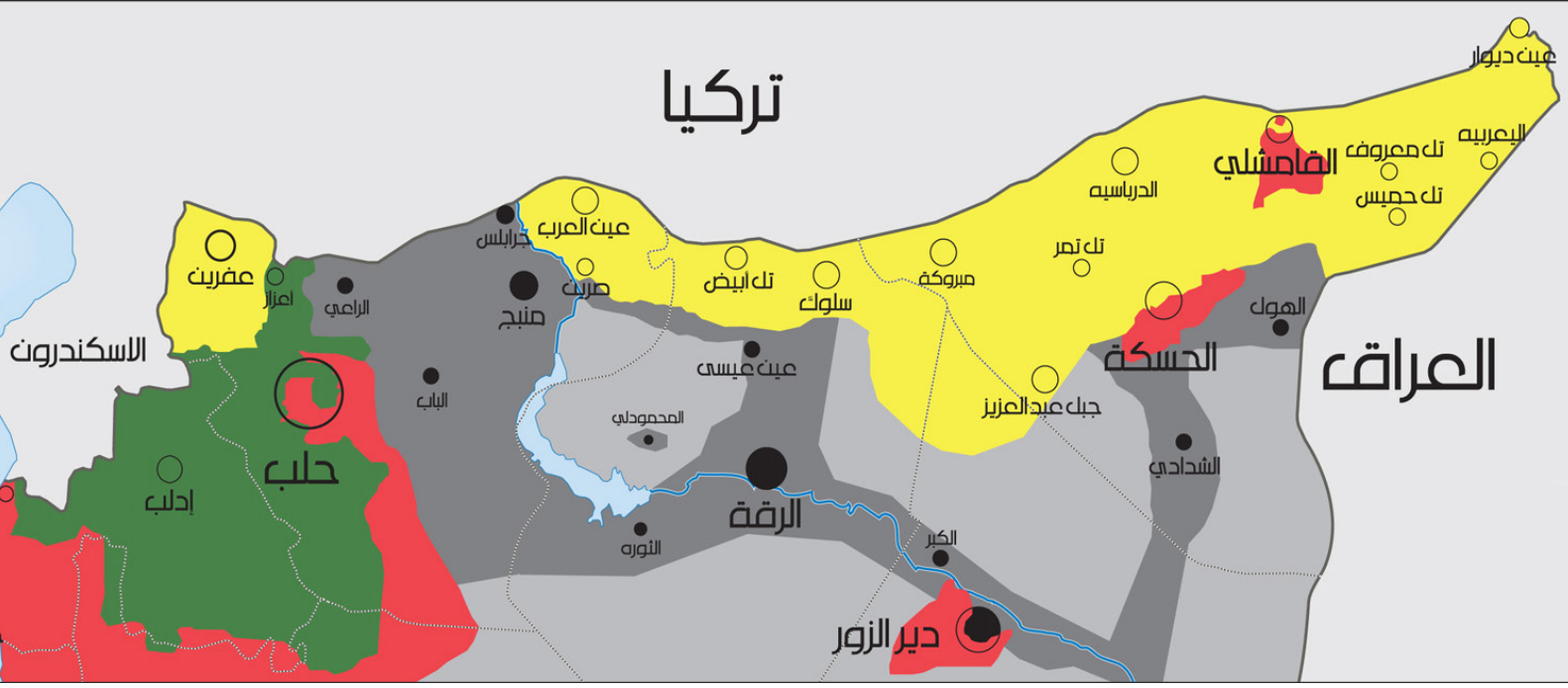

إعلان الفيدرالية كجوكرٍ على طاولة جنيف

بكر صدقي

لم يؤدّ وصول عدد شهداء المقتلة السورية إلى نصف مليون قتيل، وملايين المعاقين الذين لا يعرف أحدٌ عددهم بدقة، إلى توحيد قوى المعارضة السياسية أو العسكرية. ولا أدّى خراب العمران السوريّ، وتحويل المناطق التي كانت آهلةً بالسكان إلى مناطق غير قابلةٍ للحياة البشرية، وتشريد نصف السكان في بلاد الله الواسعة، إلى اتفاق النظام الكيماويّ والمعارضة على وقف الحرب العبثية التي يتفق جميع المتابعين على استحالة انتصار طرفٍ فيها على الآخر. ولا أدّى انتهاء «السيادة الوطنية» إلى وصايةٍ دوليةٍ متعدّدة الأطراف على مصير سوريا، وتقسيم الأراضي السورية، عملياً، بين قوى أمرٍ واقعٍ عديدة، إلى الوقوف دقيقة صمتٍ على شهيدٍ اسمه الكيان السوريّ.

فقط حين أعلن صالح مسلم وربعُهُ إقامة كيانٍ فيدراليٍّ في شمال سوريا، توحّد الجميع ضدّه: أميركا وروسيا والمجلس والائتلاف والاختلاف وحسن عبد العظيم والفصائل الإسلامية، وتلك المعتدلة، وهيثم مناع العودات، وتركيا الإسلامية، وتركيا العلمانية، وتركيا القومية، وإيران، وعراق الشيعة، وعراق السنة، وكرد البارزاني والطالباني في سوريا، وبشار الجعفري وسميَّهُ/صهره الكيماويّ، والشعب السوريّ الموالي، والشعب السوريّ المعارض، والبينَ بين..

ليست هذه مناحةً صادرةً عن مظلومية أقلوية لسان حالها (اتفق الجميع علينا)، بل محاولةٌ للتنبيه من أوهام قاتلة ما زالت، بعد كلّ هذه الدماء وكلّ هذا الخراب، قادرةً على التلاعب بعواطف الجموع ومصائرهم. وهمُ الأمة الغالبة أو وهمُ السيادة الوطنية أو وهمُ أن السوريين كانوا متساوين في التعرّض لظلم نظام الأسد، وسيكونون متساوين في العدالة في الجنة الديموقراطية الموعودة بعد إسقاطه، بصرف النظر عن الدين والعرق والمذهب (إلخ إلخ..).

كيف يمكن للكرد أن يثقوا بأيّ كلام إنشائيٍّ من نوع «بصرف النظر عن..» ومجرّد إعلان صالح مسلم لكيانٍ فيدراليٍّ (متعدّد القوميات، والحقّ يقال) فتح عليهم أبواب جهنم؟ وعادت تلك الحكايات السقيمة عن أن الكرد مهاجرون من تركيا، ولا حقوق لهم في الأراضي السورية، عادت إلى الظهور بطريقة أكثر رثاثةً وابتذالاً من أيّ وقتٍ مضى. أفتى «المفكر الفلسطينيّ»، مثلاً، أنهم هاجروا في الخمسينات! أو هناك من يرمون كلّ الشرور على جماعة صالح مسلم لأنها هدفٌ سهلٌ من جهة، ولعزلها عن بقية الكرد «الطيبين، الحبابين» من جهةٍ ثانية.

متى لم يكن الكرد متهمين بالنزوع الانفصاليّ، في الخطاب الشائع في سوريا والعراق وتركيا وإيران؟ لقد باتت هذه التهمة صفةً لصيقةً بهم، تماماً كالتصاق صفة الإرهاب بالمسلمين في خطابٍ عالميٍّ شائع. وفي الحالتين لا فائدة من التبرّؤ.

في الجوّ المشحون والموبوء الذي أعقب إعلان الفيدرالية المزعومة، يمكن طرح سؤالٍ من النوع الذي يتضمّن جوابه، على معارضي النظام الكيماويّ الذي بات بينهم وبينه ما صنع الحداد: هل توافق على بقاء النظام، إذا كان ثمن إزالته تقسيم سوريا من خلال قيام كيانٍ كرديٍّ مستقلٍّ في الشمال؟

الجواب «البديهي» هو: نعم، ليبق النظام. هذا ليس افتراضاً من عندي، بل هو ما حدث حين اتفق النظام والمعارضة على رفض الفيدرالية، مع علم الطرفين أن القوى العظمى الوصيّة على مصير سوريا (أميركا وروسيا بخاصة) متمسكةٌ بوحدة أنقاض سوريا وأشلاء السوريين، وترفض أيّ تقسيم.

صالح مسلم لعب جوكراً كان بحوزته لينضمّ إلى بازار جنيف، وليقتل الحكومة التركية بغيظها. وتمكن، ثالثاً، من افتعال زوبعةٍ في فنجان، فقرَّبَ بين النظام والمعارضة وفقاً للخطة الروسية للحل السلميّ.

أما الكرد فهم، ببساطة، يريدون الاستقلال في دولةٍ تخصّهم، بعدما يئسوا من التخلص من اتهامهم بالنزعة الانفصالية. لكن هذا موضوعٌ آخر، لا علاقة له بلعبة البوكر التي يلعبها صالح مسلم.

واقعية «الزبالة» السياسيّة

ناصر عنتابي

في غمرة الجرد السنويّ للثورة في ذكرى انطلاقتها، جاء شهر آذار هذه المرّة وأحداثٌ ومتغيّراتٌ عديدةٌ تشغل السوريين، على رأسها نتائج التدخل الروسيّ وما أُعلن عنه من انسحابه العسكريّ المزعوم. فيما احتلت جنيف والمفاوضات السياسية والهدنة والاتفاقات الدولية ونتائجها الميدانية صدارة المشهد. وفي سياق متصل ومنفصل كان الحديث عن الفيدرالية، وظهور ما يسمّى بالمجلس الاستشاريّ النسويّ الذي شكّله المبعوث الدوليّ ستيفان ديمستورا، جزءاً رئيسياً من الصورة.

بعيداً عن التعليقات الساخرة التي أعقبت ظهور ما بات يعرف في أوساط إعلام الثورة بنساء ديمستورا، تستحق طبيعة الدور والمستوى اللذين ينشط ضمنهما هذا المجلس توقفاً مطولاً، ليس فقط لأن مطالب من قبيل (الرفع الفوريّ للعقوبات الاقتصادية عن «الشعب السوري» التي تعيق وصول الغذاء والدواء والمعدات الطبية) و(الإفراج الفوريّ عن جميع المعتقلين لدى «جميع الأطراف») هي جلّ ما يشغل بال عضواته، ولا لتحاشيهنّ التعريج في مؤتمرهنّ الصحفيّ التعريفيّ، ولو بكلمة، على ارتكابات النظام ومسؤوليته الرئيسية تجاه ملف المعتقلين، كأضعف إيمان «العدالة والسلم الأهليّ»، وإنما لما تشير إليه الخلفيات الإجتماعية والسياسية التي انحدرت منها غالبية عضوات المجلس، والتي تتجاوز بلا شك ادعاءات المطالبة بضمان حقوق المرأة في المساهمة في «رسم ملامح سوريا المستقبل»، والبحث عن التمثيل والمشاركة بنسبة 30% في العملية التفاوضية، على ما طالبت به المتحدثة باسمهنّ في المؤتمر الصحفيّ.

إذ تأخذ كلٌّ من هيئة التنسيق وتيار بناء الدولة ومؤتمر القاهرة ومؤسّسات النظام الإعلامية والتعليمية والدينية حصّتها من التمثيل ضمن هيئة المجلس ذي الـ12 عضوة. فتتولى أسماءٌ كمنى غانم، نائبُ لؤي حسين رئيس تيار بناء الدولة، وديانا جبور، مديرة التلفزيون والمؤسّسة العامة للإنتاج التلفزيونيّ والإذاعيّ سابقاً، إلى جانب أسماء كفتارو، حفيدة مفتي النظام وزوجة «الداعية» محمد حبش، وإنصاف حمد، الأستاذة الجامعية ورئيسة

الهيئة السورية لشؤون الأسرة المقرّبة من أسماء الأسد؛ مهمة الاستشارة لديمستورا راعي المجلس والعملية السياسية السورية. لكن قضية التمثيل والانتماء لا تعدّ كبرى المآخذ على المجلس بالمقارنة مع الخطاب «السياسيّ» الذي ينطلق منه، والذي بات يمثل تياراً «فاعلاً» (؟) عرف عنه احتقاره وإهانته للثورة والثائرين وما يمثلون، التي سبق لإحدى العضوات -منى غانم- أن وصفتها بـ«ثورة الزبالة»، في حين لم تُعرف عن معظم الوجوه الأخرى مواقف علنيةٌ أو مبطنةٌ أفضل.

وإذا كان الحرص على التمثيل النسويّ، والخياطة بمسلّة البحث عن السلم، وبغض السلاح، وبناء وطن لكل السوريين هي الشعارات التي يتلطّى تحتها المجلس الاستشاريّ، مثلما فعل محسوبون على المعارضة كهيثم مناع ولؤي حسين قريبي الصلة السياسية بأبرز عضوات المجلس؛ فبهذا المعنى ينطبق الحديث عن المجلس بنفس القدر الذي ينطبق فيه على ما يسمّى تيار «الواقعية السياسية» التي يتبناها ويروّج لها مناع وحسين كـ«منطلق للحلّ» و«مخرج وحيد للأزمة»، على ما اعترفت ألسنتهم بالقول منذ بداية الثورة وقبل توسع المقاومة المسلحة التي تلقى عليها وعلى جمهورها اللائمة بوصفها أساس الشرور والمآلات التي وصلت إليها الحال، مثلها في ذلك مثل التطرّف الذي أنتجته وكسرت استقلال «القرار الوطنيّ» الذي بات مرتهناً للخارج، وأيُّ خارجٍ هنا؟ بالطبع السعودية وقطر. في حين تفرض الواقعية السياسية على أصحابها إبقاء خطوط التواصل وتبادل المديح والثقة مع نظام الكيماويّ والبراميل ومواليه وحلفائه العسكريين والطائفيين كروسيا وإيران، في وقتٍ لا ينفك فيه «الواقعيون» عن اعتبار قوّات الأسد وميليشياته جيشاً ومؤسّساتٍ وطنيةً ينبغي الحفاظ عليها رغم كل ما حدث. إلى أن انتهى مآل مناع -مثلاً- رئيساً اسمياً لمجلس سوريا الديموقراطيّ الذي يمثل ميليشيا قوات سوريا الديموقراطية المشبوهة والمفروضة بسلطة الأمر الواقع الفوقية، مثلها في ذلك مثل المجلس النسويّ الذي جاء تعبيراً صارخاً عما يبحث عنه ديمستورا ومن معه ومن يشبهه، متحاشياً البحث عن إرادة باقي السوريين.

من هنا، لا يعبّر تيار المجلس النسويّ عما يدّعي أصحابه، وإلا لاستدعى الخجل حدّاً ما من احترام الثورة والاعتراف بها على أقلّ تقدير، كونها أسهمت أيضاً في صنع شخوص ووجوهٍ تحوّل «نضالها» إلى نكران فضل الحرية التي أمّنتها تضحيات مئات الألوف من الشباب والشابات، والاستعاضة عن ذلك بشتيمتهم أو بتزوير تمثيلهم بحجة شعاراتٍ حداثيةٍ باتت شبه بديهيةٍ في عالم القرن الـ21، في حين لم يستطع واقعيو المؤتمرات والحلول السياسية الفوقية تقديم خيارٍ بديلٍ عن النظام. هذا ما اكتشفت الثورة منذ أيامها الأولى أنه العقبة الأساسية والوحيدة أمام الحرية والعدالة... وحقوق المرأة الحقيقيين.

ما بعد الهدنة، سورية إلى أين

أحمد عيشة

حققت الهجمة الروسية العنيفة، التي دامت لأكثر من أربعة أشهر، إنجازاتٍ عسكريةً تدميرية، وفرضت متغيّراتٍ على الأرض، من تهجيرٍ وتدمير، لصالح النظام وحليفه الموضوعيّ حزب PYD الكرديّ الذي تمدّد قليلاً باتجاه المناطق العربية وأسّس لعلاقةٍ لا ينقصها عدم التفاهم القديم فزادها بحقدٍ أكبر. وعلى التوازي مع تدميرها عملت موسكو على خلق ظروفٍ تؤمّن لها ولـ "ذيلها" عوامل نجاح مستقبلية، في وقت كانت قد بدأت فيه الجولة الأولى من المفاوضات غير المباشرة في جنيف، والتي لم تكتمل في أواخر كانون الثاني، لتتابع روسيا المرحلة الأكثر وحشيةً من عملياتها في شباط، عندما هجّرت أكثر من مئتي ألف مواطن، وقتلت أكثر من ألفٍ وخمسمائة، وخرّبت الكثير من البنى التحتية من مدارس ومشافٍ ومساكن وغيرها، لتنهي مسيرتها المظفرة على الشعب الأعزل باتفاق مع أميركا يقضي بوقف الأعمال العدائية، سرعان ما حصل على موافقةٍ كاملةٍ في مجلس الأمن بالقرار 2268، وصار ما يُعرف باسم «الهدنة».

لربما تنفس السوريون في المناطق غير الخاضعة لسيطرة الاحتلال وأعوانه وشعروا بقليلٍ من الراحة النسبية؛ فلم تعد الطائرات تقصف على مدار الساعة، وخفّت وتيرة الصواريخ، وتناقص عدد الشهداء. الأمر الذي التقطه الناس ليعبّروا لقوى الاحتلال وذيلها أنهم لم يتخلوا عن مطالبهم في الحرية والكرامة التي خرجوا من أجلها منذ خمس سنين، ففاجأوا كلّ قوى الطغيان بمظاهراتٍ في مختلف المناطق غير الخاضعة، تجاوز عدد نقاطها المئة، كلها تهتف برحيل الطاغية.

والسؤال المهمّ هل عاد السوريون إلى لحظتهم الأولى قبل خمس سنين؟ هل السوريون مولعون بالدوران في حلقة الآلام دون الصعود إلى جبل الحرية التي يستحقونها بجدارة؟

أدرك الثوّار، من عسكريين ومدنيين، المتغيّرات الجديدة من تهجيرٍ كبيرٍ وصعود المشاريع الجانبية وغير الوطنية، أي التي لا تتلاقى مع مطالب وحاجات سورية، المترافقة مع متغيّراتٍ كبيرةٍ حدثت على أرضنا، إضافةً إلى المتغيرات الدولية والإقليمية وما لها من تأثير على قرار وثورة السوريين، فكان منهم أن عبّروا عن التمسك بمطالب وحاجات البلد، بشكلٍ واضح لا لبس فيه: الانتقال السياسيّ الديمقراطيّ من الاستبداد نحو الحرية، وإزالة رموز الاستبداد وأولها رحيل الطاغية، ومحاسبة كلّ من أجرم في حق السوريين. كلّ هذا يجري بتكامل بين العسكريين والمدنيين، تكاملٌ كانت قد تأسّست نواته في مؤتمر الرياض لتوحيد قوى المعارضة والثورة، الذي نال دعماً شعبياً في مسيرته التفاوضية ناهيك عن الدعم العربيّ. وهنا يكمن وعي الشعب السوريّ وقواه الحية، الذي اكتسب خبرةً كفاحيةً كبيرةً فخلق قادته ودعم من يعتقد أنه يمثله حقيقة، الأمر الذي يختلف عن مظاهرات البداية -رغم أنها كانت أبهى وأكثر طهارة-، منتقلاً من العمل الميدانيّ العفوي نحو الحراك المدنيّ السياسيّ الذي يقرأ المتغيّرات والظروف، ويقيّم نقاط قوته وضعفه، ويكتشف طريقه بوعيٍ يتمسّك به لأنه اكتسبه بدماء أبنائه.

ولكن برزت اليوم، مع عودة السوريين إلى مظاهراتهم كطريقةٍ لإكمال مشوارهم، عوامل جديدةٌ تتجلى في قوّتين تشكلان مراكز نفوذٍ وهما جبهة النصرة وحزب الاتحاد الديمقراطي الكرديّ. توجد الأولى في مناطق حرّرها الثوار، والآخر في مناطق ذات أغلبيةٍ كرديةٍ استطاع أن يفرض سلطته عليها كأمرٍ واقعٍ عبر أسلوبه المصلحيّ المباشر وتحالفه الموضوعيّ مع النظام، فعزل الكرد عن باقي السوريين قسراً، مؤسّساً لحالة تباعدٍ قد تصل إلى حدّ العداء ما لم يتمّ تداركها من الجميع.

أما النصرة، بمشروعها الجهاديّ في أرض الشام، فقد قاتلت النظام بشجاعةٍ بالفعل، لكنها، من جهةٍ أخرى، كشفت عن تعارضٍ يصل إلى درجة العداء مع طموحات الشعب، عبّرت عنه بقمعها مظاهراته. كلتا القوّتين تتعامل مع سورية من منظورٍ واحد، أي أنها ليست الوطن الذي يجب أن ينال شعبه الحرّية. مما يبرز أهمية المشروع الوطنيّ الذي يعبّر عنه السوريون بمظاهراتهم وحراكهم، فهو الضامن الوحيد لحقوق الجميع دون تمييزٍ عرقيٍّ أو دينيّ، وهو المشروع الذي يمكن أن يجذب الكثير من جماهير النصرة، وينزع الشرعية الزائفة عن حزب الاتحاد الديمقراطيّ، التي فرضها بالحديد والنار كأيّ قوّةٍ مخابراتية. فالأكراد جزءٌ من السوريين، ولهم كامل الحقوق التي يقرّرها دستورٌ توافقيٌّ جديدٌ لا ينتقص من حقوق أحد.

قصة مدينتين في حلب:
الأنقاض في طرف، ومطاعم مكتظّةٌ في الطرف الآخر

لفداي موريس
واشنطن بوست/19 آذار
ترجمة مأمون حلبي

تعمل خطوط الجبهة في أحياء حلب -المدينة الأكثر سكاناً في البلاد- عملها، فتقسمها إلى نصفين شديديّ الاختلاف، يتمتع أحدهما بامتيازاتٍ بالقياس إلى القسم الآخر.

في حديقة في القسم الواقع تحت سيطرة النظام تتنزّه العائلات، بينما يصطفّ الأطفال لشراء البالونات والبوشار. على بعد بضعة أميال، في حرم جامعيٍّ ممتدّ، يحضر آلاف الطلاّب دروسهم. في قلب المدينة تعرض السينما أحدث أفلام هوليود، وفي المساء تكتظّ المطاعم بزبائنها. الحرب تجرُّ معها الموت وعدم الارتياح، لكنّ الحياة هنا تستمرّ بدرجةٍ مدهشةٍ من العادية. إنها صورةٌ شديدة الاختلاف عن الصور التي شاهدها العالم لمدينة حلب أثناء الحرب: الشوارع التي تملؤها الأنقاض، بقايا مبانٍ مُدمّرة، أجسادٌ فقدت الحياة تُسحَبُ من بين الرُكام بعد الضربات الجوّية. لكنّ هذه صورةٌ للقسم الواقع تحت سيطرة المُتمرّدين. هناك، هذا المزيج من الجماعات المسلّحة المسيطرة يكاد يكون محاصَراً بالكامل وتمّ قصفه بشكلٍ وحشيٍّ قبل أن يأتي وقف إطلاق النار بشيءٍ من الراحة. مدينة حلب القديمة، الواقعة على خطوط النار تماماً، مُدمّرةٌ. القلعة، التي تشمخُ فوق أسواقها التي طالها اللهيب، هي الآن قاعدةٌ عسكريةٌ للنظام.

استلزمت الرحلة من دمشق إلى حلب طريقاً طويلاً ومتعرجاً. ما كان في ما مضى رحلة أربع ساعاتٍ استغرق ضعف تلك المدة. قُرب بلدة خناصر، الواقعة على بُعد 30 ميلاً عن مدينة حلب، تسيطر جبهة النصرة على أحد جانبي الطريق، ويُسيطر تنظيم الدولة على الطرف الآخر. الشهر الماضي هاجمت ثلاث عرباتٍ مفخخةٌ حاجزاً هناك، لكن طوال السنة الأخيرة كان الطريق على الأغلب مفتوحاً، ويقول سكان حلب في القسم الخاضع للنظام أنّ الأحوال المعيشية تتحسن. بعد ثلاثة شهور بدون ماء، أعيد ضخُّ المياه إلى معظم المناطق هذا الشهر. لكنّ الكهرباء لا تزال مقطوعة، ولا تتوافر الطاقة إلا عن طريق المولدات. في الحديقة، دويّ الانفجارات الخافت ومجموعات الرجال في بدلاتهم العسكرية هي من المؤشرات القليلة على الدمار القريب للغاية. للحرب في سوريا مُسحَةٌ طائفية، لكنّ للانقسامات مرتكزاتٌ طبقيّةٌ وقَبليّةٌ أيضاً. في حلب، التي هي مدينة سُنيّة في غالبيتها، والقوّة الصناعية الأولى في سوريا، كثيرٌ من الأحياء الأكثر ثراءً في غرب المدينة اصطفّت مع النظام، بينما سيطر المُتمرّدون على المناطق الأكثر فقراً. في مقهىً يقع في حيّ العزيزية الغنيّ يعلو صخب أغنية «ما في مصاري ما في حبّ». وفي آخر الشارع يخرج خمسون شخصاً من سينما الزهراء، التي تعرض فيلم «لقد سقطت لندن»، وهو فيلم أكشن عن هجوم إرهابيٍّ يُدمّر العاصمة البريطانية. يقول رامي وهو يغادر السينما: «من الصعب العيش هنا. إنها ليست حياةً طبيعية». تقول زوجته إنها حاولت إقناعه بالرحيل، مثل الكثيرين الذين هاجروا من أجل حياةٍ جديدةٍ في أوروبا وأماكن أخرى في المنطقة.

تأخرت الثورة السورية في الوصول إلى حلب. وعندما وصلت المظاهرات الكبيرة إلى جامعة المدينة، قبل أربع سنواتٍ، كان القمع والاعتقالات الجماعية بانتظارها. يرى كمال خضري، نائب رئيس الجامعة، أنّ الاضطرابات من عمل طلاب يساندون «الجماعات الإرهابية». وقال إنّ الطلاب المشاغبين تركوا الجامعة بمحض إرادتهم. قال خضري إنّ عدد الطلاب قد تقلّص من 160 ألفاً إلى 120 ألفاً حالياً. وتستمرّ الحياة في الحرم الجامعيّ، تحت التحديقة الدائمة الحضور لصورة الأسد.

هاكوب تشوركيان، صاحب متجر أرمنيّ الأصل، فقد منزله عندما سقطت قذيفةٌ محليّة الصنع أُطلقت من مناطق المعارضة على البناء الذي كان يقطنه قبل سنتين في حيّ الميدان، فقتلت امرأةً وطفلين. انتقل هاكوب للسكن في مكانٍ آخر، لكنه يعود إلى منطقته كلّ يومٍ ليعمل في متجره.

مختار مصياف

كان حلم إياس الملوحي، المختار الأشهر بين مخاتير أحياء مصياف، بتأسيس «قوات الدفاع الذاتي» جريئاً بالنظر إلى أنواع القوّات الأخرى التي تحكم المدينة. لكن الجرأة وحدها لا تصنع قائد قوّاتٍ في إقطاعيات آل الأسد دون تحقيق ما يلزم لذلك من شروط، أبرزها أن يكون القائد مسنوداً بشخصٍ ثقيلٍ في النظام، وأن يتمتع بسجلٍ إجراميٍّ معتبر، وهذا ما يفتقر إليه المختار.

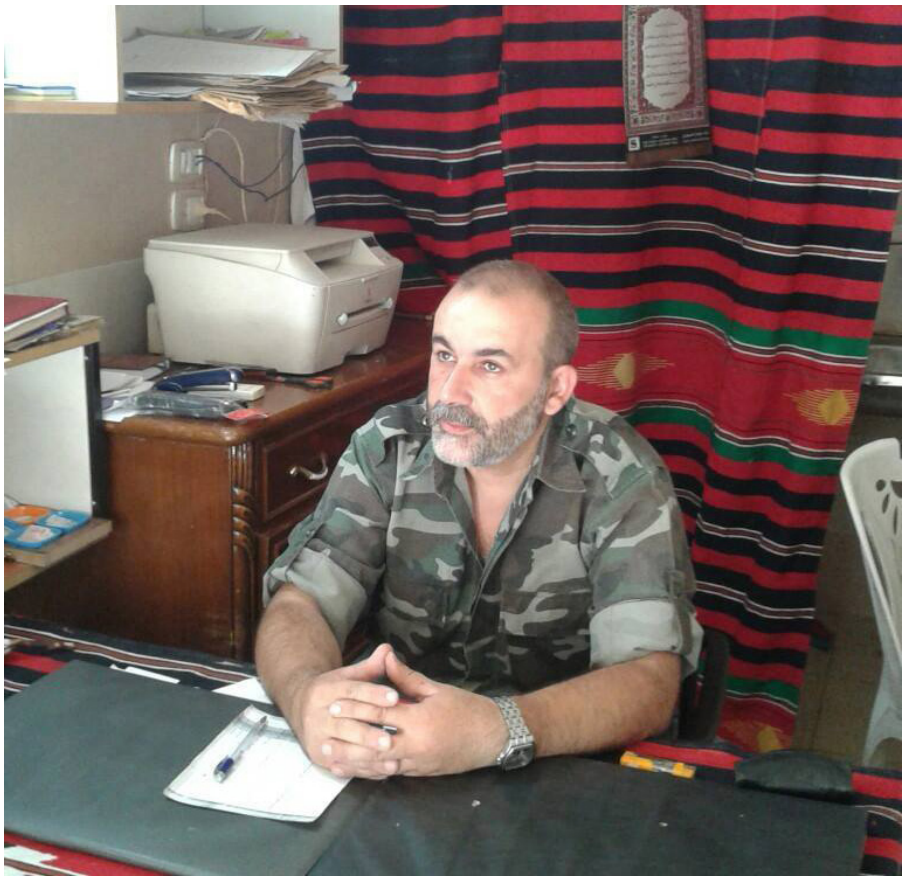

إياس الملوحي

«أمام الله ورئيس الجمهورية العربية السورية وأرواح الشهداء» يتعهد المنتمي إلى «قوات الدفاع الذاتي» بالدفاع عن مصياف وحمايتها «حدودها الإدارية» ومواجهة «جميع الأخطار الداخلية والخارجية»، حسب ما يشترط طلب الانتساب إلى هذه القوات. ويشرح أهل مصياف همساً المقصود بالأخطار الداخلية على أنها جماعة صلاح عاصي وغيرها من مجموعات الشبّيحة الوافدة من الريف القريب، والتي استباحت المدينة، ولم تتوقف، منذ خمس سنوات، عن ارتكاب جرائم القتل والسرقة والخطف. وعلى أمل حماية المدينة من «الأخطار الداخلية» تطوّع بعض أبنائها في «قوات الدفاع الذاتي» وسيّروا دورياتٍ ليليةً لعدّة أيام، تمكنوا خلالها من إحباط سرقاتٍ صغيرة، دون المساس بتركيبة الحواجز المحيطة بالمدينة، أو تقليص معدل الجرائم فيها.

ورغم التأكيد على أن «الدفاع الذاتي» ليس بديلاً أو منافساً لأحدٍ بدأت المضايقات من قبل «القوات» الأخرى وحلفائها الرسميين في مفارز المخابرات وحزب البعث، لتتحوّل إلى تهديداتٍ وأوامر بأن «يفرط» الدفاع الذاتي «بالتي هي أحسن». بالتزامن مع حملة «تخوين» للمختار بالتركيز على «نقاط ضعفه»، كتحدّره من الأقلية السنّية في مصياف، وخلوّ تاريخه من أيّ مشاركاتٍ قتاليةٍ أو أمنيةٍ بارزةٍ مثل غيره من قادة «القوات» المعتبرين، فضلاً عن طبيعته المسالمة وهو ابن الموظف الحكوميّ والقابلة القانونية الأقدم في المدينة.

لم يفلح التضامن الكبير الذي أبداه أهل البلد مع «مختارهم الآدمي» أمام الخصوم، وخاصّةً منهم علي عدي، أمين شعبة حزب البعث ورئيس اللجنة الأمنية الذي قاد حملةً ضد المختار باتهامه بتهم خطرةٍ من قبيل التعاطف مع «الخلايا النائمة» التي يشكلها النازحون، بعد رفضه طرد عائلاتٍ نازحةٍ من إدلب تقطن في إحدى المدارس. ولولا عضويته في الحزب السوري القومي الاجتماعي، وارتداؤه الزيّ العسكريّ كمستعدٍّ دائم للقتال إلى جانب قوات الأسد عند اللزوم، لصار الملوحي واحداً من الضحايا الذين أراد الدفاع عنهم.

على صفحته في موقع فيسبوك طالب المختار المتعاطفين معه بتجنب «العصبية والتوتر» والتحلي بالهدوء، و«يلي بدر من الرفيق أمين الشعبة رئيس اللجنة الأمنية في منطقة مصياف أنا بعالجو بهدوء لأنو ما حدا في يقيم عملي وأخلاقي غير أهالي منطقة مصياف».

في الحقيقة، لم يعالَج شيءٌ مما بدر من إهانة، ولم يستطع المختار الدفاع عن نفسه أو عن قواته، واكتفى بالصمت قبل أن يعود إلى عمله السابق في إبلاغ الناس بمواعيد وصول المحروقات.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

@3aynAlmadina
/3aynAlmadina

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

من مظاهرات بصرى الشام - عدسة علاء - خاص عين المدينة